مجلة شهرية

نـــور يسوع المسيح المســيــح
ΦΩΣ الغـالب ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 112 عدد:
December 2016 كانون أوّل

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دخول سيِّدتنا والدة الإله إلى الهيكل

لَقَدْ قُدِّمَت والدة الإله للربّ بالجسد وهي ابنة ثلاث سنين.
فاقتبلها زكريا كاهن الله في الهيكل مسرورًا.
وجعلها نذرًا له.

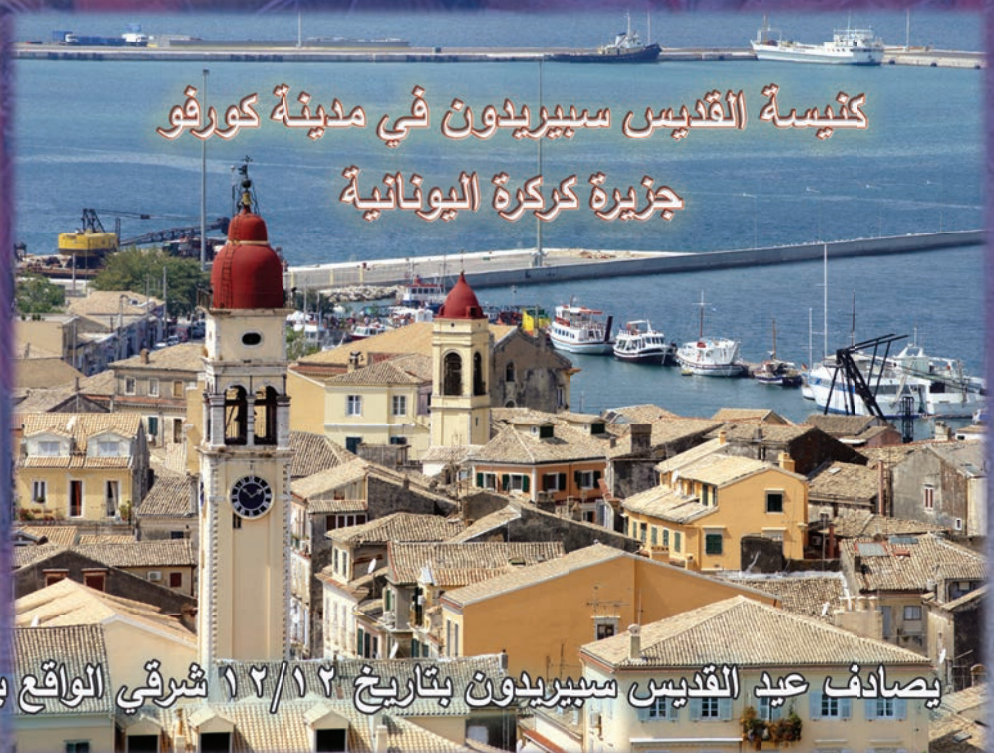

محتويات العدد

2	الكتاب المقدّس نورٌ وحياة.
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	لماذا يسمح الله بالألم
5	النُسك في حياة الرهبنة القديس باسيليوس الكبير
7	التجسُّد القديس أثناسيوس الكبير
8	التبرير والمصالحة مع الله
10	ميلاد المسيح القديس غريغوريوس اللاهوتي
11	جُزنا بالنار والماء للقديس پاييسيوس الآثوسي
12	بحث ليتورجي عظة القدّاس الإلهي
14	ميلاد المسيح للقديس كيرلّس الأورشليمي
17	العهد القديم ... (٩٥)
18	فضيلة الصوّم يونان وأهل نينوى
20	السارافيم وقوفًا حوله القديس يوحنا الذهبي الفم
21	الميلاد – غريغوريوس النيصي
22	القديس نكتاريوس العجائبي
23	الأرثوذكسيّة قانون إيمان ..
الغلاف الاخير	العظات الثماني عشرة للقديس كيرلّس الأورشليمي

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون – سكرتير جمعية نور المسيح

الكتاب المقدّس نـــورٌ وحيـــاة

وَقَفَ أحد الوُعَّاظ في (سيتي تمبل) بلندن على المنبر وترك الكتاب المقدّس مُقْفَلًا أمامه ثُمّ قال:

(عابَ عليَّ البعض أَنّي شديد التعلُّق بالكتاب المقدس، ولأنّي أورد الشواهد الكثيرة منه، ولا أتحوّل عنه، ويطالبونني بأن أكون عصريًا وأورد في عِظَاتي أشياء عِلْمِيَّة، وفي هذا الصباح سأجيب مطلبهم وأكلمكم عن العلوم).

ثُم قال: ها أرملة مسكينة واقفة أمامنا، فَقَدَتْ ابنها الوحيد، وتريد أن تعرف إذا كان هناك رجاء في لقائه ...

فَهَلْ يُعْطينا العلم الجواب ؟

ثمّ قال: ها أنا أترك الكتاب المقدّس جانبًا.

ثمّ وضع الكتاب المقدس على المقعد الخَلفي وقال: هل ترَى هذه الأرملة ابنها مرّة ثانية؟ وأين هو الآن؟ ماذا يقول العِلْم؟.

قال هذا وصَمَتَ طويلًا ثمّ قال: (إذًا فلنأخذ الكتاب المقدّس).

وأعادَ الكتاب المقدّس إلى مكانه **فوق المنبر** ثمّ قرأ:

«أنا ذاهبٌ إليه وأما هو فلا يرجع إليّ» (٢ صم ١٢: ٢٣).

«هذا الفاسد لابدّ أن يلبس عَدَم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت» (١كو١٥: ٥٣).

«أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية» (١كو ١٥: ٥٥).

ثُمّ طَوى الكتاب المقدّس باحترام وقال: (إذًا فلنتمسّك بالكتاب المقدّس ونَسْعَى للأبديّة).

إنّ الكتاب المقدّس يبدأ بما لا يسجله التاريخ العالمي، بداية العالم والزمان والخَلْق وتاريخ الشعوب.

وينتهي بما لا يعرفه العالم. نهاية الكون والأبديّة والخلود خلف آفاق الزمن.

وفي كُل ذلك له هدف واحد، هو مجد الله وخلاص الإنسان.

لا يوجد دليل على انهيار الحياة الروحية أقوى من انعدام الشهية لكلمة الله.

أُذكر أيها الحبيب أنَّ **نُمُوَّكَ** يتوقّف على **التغذية بكلمة الله**.

لا تقرأ الكتاب المقدس لأنك تريد أن تفعل ذلك، بل لأنه **لازمٌ لحياتك**.

فكلام الحياة هو **غذاء الرّوح**.

يا له من كتاب عظيم.

أيّتها الأيدي إلمسيه.
أيّتها العيون تأملي وصاياه.
أيّتها الآذان اسمعي تعاليمه.
أيّتها الأفواه تذَوَّقِي كلامه.

«الكتاب المقدّس هو رسالة إليك من السماء، مكتوبة بدم الحمل، تعبيرًا لحبّه العظيم.»

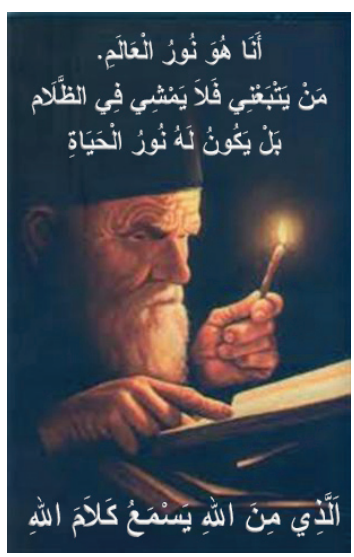

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس رئيس أساقفة ميراليكية – في مدينة بيت جالا

”لقد ظهرتَ مُناضلًا عن كنيسة المسيح يا كُلِّيَّ الحماسة يا نيقولاوس، تنقُض البِدَع الكُفريَّة بدالّةٍ. ودستورًا لجميع الناس في استقامة الرأي. تتشقَّع في جميعِ تابعي تعاليمك وارشاداتك الإلهيَّة.“ هذا ما يُصرِّحُ بهِ مرنمُ الكنيسة.

أيها الأخوة المسيحيون،

ايها الزوار الحسنو العبادة الأتقياء،

لِنُبَوِّقَنَّ اليوم ببوق الأناشيد، ولنرقصنَّ ابتهاجًا بموسم أبينا **القديس نيقولاوس المتوشح بالله، أسقف ميراليكية العجائبيّ**، في هذه الكنيسة المُشادة على اسمهِ، وفي هذه المدينة التي تَحيا بِحسَبِ مشيئةِ اللهِ وإرادتهِ، وبحماية القديس نيقولاوس وعضده، هذه المدينة التي باركها القديس عندما أتى حاجًّا إلى الأماكن المُقدسة، لزيارة المغارة الإلهية التي اقتبلت ميلاد إلهنا، ومخلصنا يسوع المسيح في مدينة بيت لحم.

لقد ظهر القديس نيقولاوس أسقف ميرا مدافعًا عن المسكونة جمعاء، وذلك لأن القديس نيقولاوس قد أدرك مجد الله غير المخلوق، كما يؤكد هذا مرنم الكنيسة:

”لقد طُفتَ بفكرك حولَ جمال الأمور التي لا تُعايَنُ أيها القديس الفائق الشَّرف. فأدركتَ بهِ ذلك المجد الرهيب، مجد القديسين، ومن ثمَّ أخبرتنا بأقوالك السماوية، عن تلك المناظر الحيّة عَلَى الدوام“ .

ولربما يتساءل المرء ”ما هو ذلك المجد الرهيب الذي أدركهُ أبونا القديس نيقولاوس؟ وما هي تلك الأقوال السماوية التي أخبرنا إياها عن تلك المناظر الحيَّة على الدوام؟“

إنّ ذلك المجد أيّها الأحبةُ، ما هو إلّا سرُّ تجسدِ الإله الكلمة، الذي لا يوُصف من الدائمة البتولية العذراء مريم، والذي وصل هذا المجد ذُروتَه عند تَجلي ربنا يسوع المسيح، على جبل ثابور كما يشهد بذلك القديس متى الإنجيلي: ”وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، (أي التلاميذ) وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ“ (متى ١٧ : ٢).

أمَّا ” الأقوال السماوية عن تلك المناظر الحيَّة“ فهو الصوت الذي أتى من السحابة النيّرة على جبل ثابور قائلًا: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا» (متى ١٧:٥). وبهذا أصبح أبونا القديس نيقولاوس تلميذًا ومُبشرًا، لإنجيل المسيح ابن الله الحبيب ومشابهًا له أيضًا، فقد ظهرَ دستورًا وقانونًا للإيمانِ الأرثوذكسي، ومناضلًا حارًّا عن كنيسة المسيح، ومداويًا للمرضى.

وبمعنى آخر فقد تمَّمَ القديس نيقولاوس وصايا الناموس بحرارةٍ، تلك الوصايا التي قالها المسيح للفريسيين عندما سألهُ أحدهم:

«يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ.» (متى ٢٢ :٣٥ – ٣٩).

إنّ هذه الوصية هي الأولى والعظمى، وذلك لأن الله بسبب محبته اللامتناهية واللامحدودة لجنس البشر، قد «ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١ تيمو٣ :١٦)، وصار إنسانًا في يسوع المسيح.« الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.» (فيليبي ٢ : ٦ – ٨).

لقد سارَ أبونا القديس نيقولاوس على خُطى تلاميذِ المسيح والرُّسُل القديسين، وارتقى إلى رئاسة الكهنوت، وأصبحَ راعيًا أصيلًا لكنيسة المسيح في جميع المسكونة، لهذا فقد مجَّدهُ الربّ، وقدَّسه كمدبرٍ وعالمٍ عظيمٍ لنعمة الله، وهذا ما يشهدُ به أيضًا مرنم الكنيسة ”إنّك تسطعُ متلألئًا على الأرض بأشعَّة العجائب يا نيقولاوس الحكيم. وتُحرّك كلَّ لسانٍ على الأرض لتمجيدِ الذي شرَّفك وتسبيحه. فتضرّع إليهِ يا نخبة الآباءِ. طالبًا أن يُنجّي من كلّ الشدائد الذين يكرمون تذكارك عن إيمانٍ ولهفة“.

حقًا أيّها الإخوة إنّنا نكرّم اليوم بوقارٍ هذه الذكرى المقدسة لأبي

الكنيسة البارز والمُختار أبينا القديس نيقولاوس العجائبيّ. وأقول هذا «لأنهُ دَخَلَ إلى فَرَحِ رَبِّهِ» فلا ينفك أبونا القديس نيقولاوس متشفعًا لخلاص نفوس المؤمنين الصارخين إليه، بفم مرتّم الكنيسة القائل: ”أيها الرعاة والمعلمون، لِنمتدح الراعي المقتدي بالرّاعي الصالح في الغيرة. وليمتدحنَّ المرضى الطبيب، والذين في الأخطار المنقذ، والخطأة الشفيع، والمساكين الكنز، والمضنوكون التعزية والفرج، والمسافرون الرفيق، والمُبحرون الرّبان المدبر. ولنقرّظنّ نحن جميعًا رئيس الكهنة العظيم، الذي يتدارك الكل بنشاطٍ في كل مكان قائلين له تداركنا يا نيقولاوس الكلي القداسة، وأنقذنا من الشدَّة الحاضرة وخلّص رعيتك بتضرعاتك.“

وأهلّنا نحن مُكْرِميكَ وَمُمْتَدِحيكَ لكي بسلامٍ واتفاق ووئامٍ أنَّ نعيّدَ في قلوبنا لميلاد إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

وها نحن أيّها الأحبة في ميدان الصوم المُبارَكِ، وفي مرحلة الاستعداد لاستقبال الذي تجسدَ لأجلنا في مغارة مجاورةٍ لنا في مدينة بيت لحمَ، ووُلد من العذراء مريم بالروح القدس المسيح الإله مخلص نفوسنا.

فلنسارعنَّ ونطلب بحرارةٍ ورجاء من أبينا القديس نيقولاوس العجائبيّ، أنّ تشرقَ شمسُ العدل المسيح إلهنا لجميع الساكنين على أرض فلسطين المُقدسة، وليمنح الله سَلامهُ لهم جميعًا، ومع المرتل نهتف منشدين: ”يا بيت لحم اِستعدي. ويا مذود تهيَّأ. ويا مغارة استقبلي فقد جاء الحقُ وزال الظلم. وظهر الإله للناس من العذراءِ مُتخِّذًا صورتنا مؤلِّهًا ما اتَّخَذهُ. فآدم وحوَّاء يتجدَّدان هَاتِفَيْنَ لقد ظهرت المسرَّةُ على الأرض لتخلّص نفوسنا“.

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

لماذا يسمح الله بالألم؟

قَصَدَ رجلٌ حلّاقًا ليقصّ شعره ويشذّب لحيته. أثناء الحلاقة، دار بين الرَّجُلَيْنِ حديثٌ طالَ مواضيع كثيرة. وعندما تطرّقا الى موضوع الله، سارع الحلّاق الى التأكيد: ”**لا أعتقد بأن الله موجود**“. سأله الزبون: ”لماذا تقول هذا؟“.

أجاب: ”ما عليك إلّا أن تخرج الى الشارع لتتحقّق من عدم وجود الله. فلو كان حقًا موجودًا، هل كنتَ تجد هذا القدر من المرضى؟ هل كنتَ تجد أطفالًا متروكين؟ هل كنت تجد هذا المقدار من منكسري القلوب؟ لو كان الله موجودًا، لما كان ألمٌ وعذاب. لا أتصوّر إلهًا مُحِبًّا يسمح بكل هذه الأمور“.

فكّر الزبون لبرهةٍ إلّا أنه لم يُجبه لعدم رغبته في مجابهته. أنهى الحلّاق مهمّته، فغادر الزبون المحلّ. حال خروجه الى الشارع رأى رَجُلًا شعره طويل، أشعَث ومتّسخ، ولحيته غير مشذّبة. بدا الرجل قَذِرًا مُهْمَلًا. قَفَلَ الزُّبون راجعًا الى محلّ الحلاقة ليبادر الحلّاقَ بقوله: ”هل تعلم؟ لا يوجد حلّاقون“.

”كيف تقول هذا؟“، سأله الحلّاق متعجّبًا. ”انا هنا. وأنا حلّاق، ولقد اعتنيت بشعرك لتوّي“.

”لا!“، أعلن الزبون بقوّة. ”لا يوجد حلّاقون، لأنهم، لو وُجدوا، لما كان هناك أناس شعورهم طويلة ومتّسخة، ولحاهم غير مشذّبة، كذلك الرجل في الخارج“.

”الحلّاقون موجودون! ولكن هذا ما يحصل عندما لا يأتي الناس إليّ“.

”تمامًا!“، أكّد الزبون. ”هذا صُلْب الموضوع! **الله أيضًا موجود!** ولكن هذا لا يحصل عندما لا يذهب الناس إليه، ولا يلتمسون مساعدته. ولهذا هناك ألم وعذاب بهذا المقدار في العالم“.

القديس مَرْكِلّوس (٢٩ ك.أوّل)

أصله من قبرص. عاش في سوريا حيث عمل موظفًا اداريًا. أُعجب الجميع بتقواه، وحس العدالة لديه، فانتُخب مطرانًا على مدينة أفاميا خَلَفًا للمَطْران يوحنا الذي اشترك في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١.

تقع أفاميا شمالي حماة، ولا تزال آثارها العظيمة قائمة حتى اليوم. اهتم المطران مركلوس برعاية الشعب، والمحافظة على الإيمان خوفًا من بقايا الوثنية، التي كانت تظهر بين الحين والآخر. لما أصدر **الامبراطور ثيودوسيوس** أمرًا بتدمير كل المعابد الوثنية، قام المطران مركلوس بتدمير كل اثر وثني في ابرشيته وبنى مكانها كنائس مسيحية.

دام الصراع مع الوثنية سنوات أظهر مطران أفاميا خلالها شجاعة، ومثابرة وتقوى، واستطاع بصلاته ان يقضي على معابد وثنية عظيمة، لم يستطع العمّال والجنود تدميرها. اهتدى بسبب ذلك كثيرون، وأكمل القديس عمله البَشَارِيّ في بقية الأبرشية، بالرغم من مقاومة الوثنيين. أثناء تدمير احد المعابد رآه بعض الوثنيين، فقبضوا عليه ورموه في النار. مات **القديس مركلوس** شهيدًا للإيمان.

النُسك في حياة الرهبنة وبعضٌ من قوانينها

للقديس باسيليوس الكبير

تابع عن محبّة الله

† وإذا استحقَّ واحدٌ من القديسين، أن يَرى هذا النور هكذا، فإنّه يكون في الشوق العظيم، والمحبة الفاضلة التي لله، هذه التى لا يُشْبَع منها ولا يُمَلُّ التحديق بها.

† وحتَّى المرء يملّ من حياة العالم (مهما توفرت فيها المُتَع) فيقول:

«الويل لي فإنّ غُربتي قد طالت» (مز ١١:٥).

«متَى آتي وأظهر (أقِف) أمام إلهي» (مز ٤٠:٢).

«أن أنحَلّ (أنطلق) وأن أكون مع المسيح (ذلك) أفضل كثيرًا» (في ١:٢٣).

«إن نفسي عطشت الَى الله الحيّ القويّ» (مز ٤٠:١).

«أطلِق عبدك بسلام – يا سَيّد – حسب قولِكَ» (لو٢:٢٨).

† فالإنسان يُفَضِّل الخير بطبعه. والخير الحقيقي المحبوب هو الصَّلاح (البِرّ)، والصَّلاح هو الله.

† وكلّ البَشَر يشتهون الخير، والذي يبتعد بِشَرِّه عن هذا الخير، فهو كَعينٍ ابتعدت عن نورها.

† وأنتَ تجد محبّة طبيعية (غريزيّة) موجودة في المولودين، وهم أطفال لأمهاتهم. وليس هذا في البَشَر فقط، بل وفي البهائِم والوحوش والطيور أيضًا (فهي بالحنين تحبّ صغارها).

† فلا نَكُن أقل من الأطفال محبّة، وأشدّ وحشيّة من الوحوش. إذ لا تظهر محبتنا الطبيعيّة (الفطرية) الكائنة فينا لله، الذي هو أبونا السَّماوي، وبسبب وجودنا الأصليّ، ومُدَبِّر حياتنا بِجُودِه وحكمته ورعايته.

† وإذا كان الأطفال الصغار يتعلّقون بأمهاتهم. والبهائم (الحيوانات) تتبع من يعمل الخير معها، لأنّه قال: «الثور عرف قانيه (صاحبه) والحمار عَرَفَ مَعلف سَيِّده» (إش١:٣)، ولهذا علينا أن نتعلّق بمن نحنُ منه، ونتبع من يجود علينا دائمًا (بالخيرات) لِئَلَّا يتمّ علينا هذا المكتوب: «إسرائيل لم يعرفني، وشَعبي لم يعرف من أنَا ؟!» (إش١:٤).

† وإذا كان الذين يصنعون الخير، نُؤثِر (نرغب) أن نحتمل من أجلهم أتعابًا كثيرة، ونحب أن نُعَوِّضهم أضعافًا، عن الخير الذي صنعوه معنا، فَلَسنَا نقدر أن نَصِف جميع فضائل الله علينا، وخيره لدينا. هذه التي قيلَ عنها: «إنَّهَا أكثر من العدد (لا تُعَدّ لكثرتها)». وهي عظيمة الى درجة أنّ واحدة منها كافية لأنّ تُطَيِّب قلوبنا من أجلها، بشكر الله دائمًا على عطاياه والعرفان بسخائه.

† وينبغي أن نذكر صلاح الله وخيراته، وهي كثيرة جدًّا في عددها وعظيمةٌ في مقاديرها – كالنجوم – وغيرها من بركاته كإشراق الشمس (بدفئها)، ودوران القمر (بنوره) ولُطف الهواء (جمال الطقس) وجريان الماء العذب، وقطرات الأمطار، وامتلاء البحار، وَسِعَة (مساحة) الأرض، وكثرة أصناف نباتاتها، والأسماك والحيوان والطيور والدواجن، وباقي المخلوقات، التي سخَّرها الله لخدمة الإنسان على الأرض.

† علاوة على النعمة العظيمة، التي إذا تغافلنا (العطايا السابقة) كلّها، لا يمكن أن نتغافل عن ذكرها والإشادة بسموِّها؛ فقد خلَقَ الله الإنسان على شبهه وصورته (في الخلود، الحريّة، العقل، الإرادة .. الخ). وجعله مُستحقًا لمعرفته.

† وأكْرَمَهُ ومَيَّزَهُ عن الحيوانات. وزَيَّنه بالنُّطْق، وتركه يتمتّع بالبهجة والجمال في الفردوس، وأقامه رئيسًا (سَلَّطَهُ) على كُلِّ ما في الأرضِ.

† وبعد هذا، لمَّا أطغاه الشيطان، وسقط إلى دركات الموت (بالخطيئة) لم ينسَه الخالق، بل أعطاه الناموس عونًا. وأقام (خصَّص) الملائكة لِحِفظه وحمايته والاهتمام به، مُغدقًا بوعوده العظيمة لخلاص الإنسان من تهوّره الخاطىء.

† فَأرسَل له الأنبياء، لتوبيخ الشَرّ وتعليم الفضيلة. ونزع أسباب الشرّ بتحذيراته، وأظهرَ ذلك بِصُوَر كثيرة مؤدِّبًا الإنسان وموجِّهًا إيَّاه إلى الطريق القويم.

† ومع عصياننا وتمرّدنا، لم يَنسنا بصلاحه، بل أقامنا من الموت، وأحيانا بربنا يسوع المسيح. آخِذًا شَكل العَبد (تجسّد وتأنّس) وحمل أمراضنا (خطايانا) واشترانا (بدمه الثمين) من لعنة الخطيئة، إذ صار لعنة لأجلنا (لأنه ملعونٌ في الناموس مَن عُلِّقَ على خشَبَةٍ).

العلامة أوريجانوس

«وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ تَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ. وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا:«يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي». فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلًا:«أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!». وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أُنْظُرْ أَنْ لاَ تَقُولَ لأَحَدٍ. بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ»» (مت ٨)

«وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ»

عندما كان يسوع يُعلّم على قمة الجبل كان تلاميذه معه، الذين قد أُعْطِيَ لهم أن يعرفوا أسرار التعاليم السماوية، والذي بواسطتهم **قَلْبُ العالَمِ البربري سوف يُملَّحُ بمعرفة الخلاص**، والذي بواسطتهم أعين العميان – المظلمة بظلال الانغماسات الأرضية – سوف تنفتح على نور الحق. لهذا يقول الرب لنا: «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ... أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ.» (مت ٥).

والآن عند نزوله من الجبل تبعته جموع كثيرة.

لا يستطيعونَ بأي حال من الأحوال أن يصعدوا للجبل، لأن أحمال الخطيئة تُثْقِلُهُمْ وتعوقهم جدًا، ما لم يتخلصوا من حمولتها، هم غير قادرين تمامًا على الصعود إلى مرتفعات الأسرار الإلهية. هكذا أيضًا ، لم يستطع شعب إسرائيل قديمًا أن يصعد إلى الجبل وينظر وجه الرب، إذ أنهم كانوا مُقيّدين وَمُثْقَلِينَ بأحمال طريقة الحياة التي تعلموها في مصرَ، لذا صعد موسى وحده، ومعه عدد قليل من بين حكماء إسرائيل. وكما صعد الرسل إلى الجبل مع الرب، هكذا تفعل أيضًا الآن النفوس المؤمنة، التي تخاف الله، وتحب الله، وتشتاق إلى ملكوته السماوي، التي دائمًا تتبع الرب، إذ تصعد خلفه نحو الجبل السماوي، مستمعة إلى قول الرسول: «اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ» (كو ٣:٢)

ينزل الربّ إلى أسفل، أي ينحدر نحو عجز وضعف الآخرين، ويتعطف على ضعفهم وبؤسهم. والجموع الكثيرة تتبعه، البعض لمحبتهم له، والكثير منهم لسماع تعاليمه، وعددٌ غير قليل من أجل تحننه وشفائه. وها هو أبرص، أحدُ هؤلاء الذين يترجَّون الشفاء، الذين يتوقون إلى الخلاص، «جاء وسجد له قائلًا: يا سيِّد إن أردت تقدر أن تطهرني». نعم أيها الإنسان، تجري نحوه، وتتوسل إليه عند نزوله إلى أسفل، ولكن على الجبل لا تكلمه، لماذا؟ لأن «لكل شيء زمان» (جا ٣)، هناك وقت للتعليم، وهناك وقت للشفاء. على الجبل علّم الربّ وأنار، وشفى النفوس والقلوب. وبسبب هذه الأمور العظيمة، امتنعتَ عن الكلام، تنحيتَ جانبًا بسبب هذه الأمور السامية.

وبعد الانتهاء من هذه المهام، ينزل من الجبل السماوي لكي يشفي كل جسد، وها يأتي إليه رجلٌ أبرصٌ، ويسجد له. قبل أن يقدم التماسه يبدأ بالسُّجود له. قبل أن يتوسل يُقدِّم الإجْلال والتعظيم. سجد له. بهذا الفعل، يخاطبه كربّ وإله إذ سجد له. كما فعل أولئك المجوس المباركون، إذ انحنوا أولًا وسجدوا له، ثم قدَّموا له هداياهم، هكذا على نفس المنوال فعل هذا الرجل، إنحنى إلى أسفل وسجد له، وبهذه الطريقة قدم التماسه قائلًا:

"يا سيد الرب، تُقَدَّم لك العبادة بعدل والخدمة بحق. أني أسجد لك كَرَبٍّ، ولذا كربٍّ أدعوك وأتوسل إليك، معترفًا بأعمالك. كل الأشياء مصنوعة بك. يارب إن أردت، تقدر أن تطهرني. لقد أردتَ أن يأتي عليَّ هذا البرص النَّجِسُ، إما بسبب خطاياي، حتى من خلال التأديب أقدم أعمال التوبة، أو بسبب تدبيرك الإلهي، حتى من خلال شفائك المُعجز لي يتمجد اسمك. كل الأشياء تتم من خلال أوامرك وتدبيرك، وأنت تعطي الصحة بوفرة. لذا، إن كُنْتُ قد ابتليتُ بهذا البرص بسبب خطاياي، إشْفِنِي ماحيًا خطاياي، وأن كان ذلك بسبب تدبيرك الإلهي، إشْفِنِي بشكْلٍ مُعجِزيّ، حتى تتمجَّد أمام الناس.

يا سيِّد الربّ، إن أردتَ تقدر أن تطهرني. هناك احتياج إلى إرادتك، لأن المخلوقات تطيع فقط إرادتك، لذا إن أردتَ، تقدر أن تطهرني. أنا لا اترنح بالشكّ، ولا أتحدث كذاك الذي التمس شفاء ابنه قائلًا: «إن كنت تستطيع شيئًا فتحنن علينا وأعنَّا» (مر ٩). لكني أعلم أنك على كل شيء قدير. وها أنا التمس لا قوتك، ولا أطلب سلطانك. أعلم أن الإنسان ضعيف، لكنني اتوسل إلى إرادتك، لأن القوّة التي تتبع إرادتك، سوف تُتَمِّم على الفور نعمة الشفاءِ فِيَّ.

يا ربّ، إن أردت، تقدر أن تطهرني. لي الربح ولك المدح والتمجيد، ولجميع الذين يشاهدون الاعجوبة آتساع في معرفة الحق.

يا سيِّد، إن أردتَ، تقدر أن تطهرني. أنتَ يا من شفيت بَرَصَ نعمان السرياني بواسطة خادمك إليشع، الذي طلب منه الاغتسال في نهر الأردن.

الآن، إن أردت، تقدر أن تطهرني".

ويجاوبه الرب قائلًا:

"بإيمانك، اعترفتَ أنّي أستطيع، وأنه سوف يتمّ الأمر إن أردتُ.

بناءً على ذلك، أنا أريد، فاطهر.

بشكل عجيب قد آمنتَ، وبشكل عجيب قد تم شفاؤك.

بلا قياس قد اعترفتَ، وبلا قياس قد تم ابهاجك.

أنا أريد، فاطهر.

لم تتعثر في الإيمان، وها أنا سريع في الشفاء.

لم تتأخر في الاعتراف بإيمانك، وها أنا لا أتأخر في تطهيرك.

أنا أريد، فاطهر.

ولكي أُظهر لكَ نعمة عظيمة، ها أنا أمدُّ يدي إليك"

فمد يسوع يده ولمسه قائلا: «أريد فاطهر»

ولماذا لمسه والشريعة تُحرّم لمس الأبرص؟ لقد لمسه لكي يظهر أن «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي ١:١٥)، لأن النجاسة لا تنتقل من شخص لآخر، ولا تُنجِّس النجاسة الخارجية طهارة القلب الداخلية.

لكن لماذا لمسه في هذه الحادثة؟ لقد لمسه الربّ لكي يرشدنا إلى التواضع، ولكي يعلمنا ألا نحتقر أحدًا، أو نشمئز منه أو نحسبه شخصًا تافهًا جديرًا بالشفقة، بسبب جُرحٍ في جسده، أو عيب في أحد أعضائه، سمح بها الله وعنها سوف يقدم السبب. أنا الطبيب السماوي يقول الربّ، واستطيع أن أشفي الأجساد فضلًا عن النفوس. لذا ألمس الجميع، لا لكي تلتصق الأمراض بي، بل لكي أدفعها خارج المصابين. إذ أنني الشمس التي لا تُضاهى وقمر البِرّ. لذا فاني أقترب من الجميع، وأشرق في الجميع بكل بهائي من أجل خلاصهم. أنا لا أتغير، وأبقى في جمال قداستي الذاتية.

وهكذا، مَدَّ يسوع يده ولمسه. أنا لا احتقر الناموس، بل أشفي الجرح. أنا لا أُلغي الوصيَّة بل أطهر البُرْصَ. وعندما أمد يدي يفارقه البرص فورًا، ولا يستطيع **تلوث المرض** أن يقترب **من كمالي**، أو يقاوم قوتي. لذا أقول: أريد فاطهر.

وعندما مد يديه لكي يلمسه فارقه البرص على الفور، وإذا يدُ الربّ لم تلمس أبرصَ، بل جسدًا متطهرًا!

فلنتأمل هنا، أيها الأخوة الأحباء، في ما إذا كانت نفس أحدنا ملطخة بالبرص، أو كان قلبه ملوثًا بالإثم؟

إن كان الأمر كذلك، فَلْيَسْجُدْ للرب حالًا، ويَقُلْ له: "إن أردت، تقدر أن تطهرني. لقد طهرتَ قديمًا نعمان الذي ارتكب جرائم كثيرة، بل على مرِّ العصور، تعطفتَ وتحننتَ على عددٍ لا حصرَ له من أولئك الذين تضرعوا إليك. لذا، إن أردتَ، تقدر أن تطهرني"

والرب بسرعةٍ سوف يمد يد رحمته إليك، ويقول كما قال للأبرص الذي شفاه:

«أنا أريدُ، فاطهُر». ■

أَلتَّجَسُّدُ

للقديس أثناسيوس الكبير

مرَّةً أخرى نقول، أي طريق كان ممكنًا أن يسلكه الله؟ أَيَطْلُبُ من البشر التوبة عن تعدّياتهم،؟ لعلّهم كما ورثوا الفساد بسبب التعدّي، ينالون عدم الفساد بسبب التوبة.

ولكن التوبة لا تستطيع أن توفي مطلب الله العادل، لأنه إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت، يكن الله غير صادق. ثم انه تعجز التوبة عن تغيير طبيعة الإنسان، لأن كل ما تفعله هو أن تقف حائلًا بينه وبين ارتكاب الخطيئة.

ولو كان الأمر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الإنسان، ولم يتبعه الفساد فقد تكون التوبة كافية. أما الآن وقد علمنا أن الإنسان بمجرّد التعدّي، انجرف في تيّار الفساد الذي أصبح طبيعة له، وحُرم من تلك النعمة التي سبق أن أعطيت له، وهي مماثلة لصورة الله. فما هي الخطوة التالية التي كان يستلزمها الأمر؟ أو مَن الذي يستطيع أن يُعيد إليه تلك النعمة، ويرده إلى حالته الأولى إلاّ كلمة الله الذي خَلَقَ كلّ شيء من العدم في البدء".؟

لهذا عَمِل كلمة الله مرة أخرى ليأتي بالفاسد إلى عدم الفساد، وفي نفس الوقت أن يوفي مطلب الآب العادل المطالب به الجميع. وحيث انه هو كلمة الآب ويفوق الكلّ، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدّد خلق كل شيء، وأن يتحمّل الآلام عِوَضًا عن الجميع، وأن يكون نائبًا عن الجميع لدى الله."

قَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى أَحَدِ الزُّهَادِ، وَكَانَ قَدْ تَعَبَّدَ، وَبَكَى خَوْفًا مِنَ ٱللهِ جَلَّ شَأْنُهُ حَتَّى عَمِيَ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ، مَا أَشَدَّ ٱلْعَمَى عَلَى مَنْ كَانَ بَصِيرًا، فَسَمِعَ ٱلنَّاسِكُ قَوْلَهُ فَقَالَ: يَا عَبْدَ ٱللهِ، عَمَى ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱللهِ أَشَدُّ مِنْ عَمَى ٱلْعَيْنِ عَنِ ٱلدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ مَحَبَّتِهِ، وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا. فَأَنْشَدَ قَائِلًا:

يَا طَالِبَ ٱلطِّبِّ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ
إِنَّ ٱلطَّبِيبَ ٱلَّذِي أَبْلَاكَ بِٱلدَّاءِ
هُوَ ٱلطَّبِيبُ ٱلَّذِي يُرْجَى لِعَافِيَةٍ
لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ ٱلتِّرْيَاقَ فِي ٱلْمَاءِ

من بين بركات الخلاص التي أنعم بها المسيح على البشرية بتجسُّده وموته وقيامته: المصالحة والسلام مع الله، والتبرير أمام الله. هذان الفعلان هما بعض – وليس كل – ثمار الخلاص الوفيرة، ولكنهما من أهم ما أتى به المسيح للبشرية من جراء عمله الخلاصي العظيم.

وللتمعُّن في مضمون هذين الفعلين، نتأمل في بعض كلمات الإنجيل، وتعليم الآباء القديسين حول مضمون الخلاص:

١. بالتجسُّد أصبح المسيح لنا الرأس الجديد، والجذر الجديد لخلقتنا الجديدة:

إنَّ ابن الله يهب لنا حياته الإلٰهية وقوته بكل ملئها، سواء في هذا الدهر الحاضر، أو في الدهر الآتي، ولكننا ننال منهما على قدر قامة وإيمان كلٍّ منَّا، ويزيدها المسيح ويُنمِّيها فينا شيئًا فشيئًا. فإنه يهبها لنا أولًا في سِرِّ المعمودية كعطية مجانية كامنة مؤيَّدة، بوعدٍ إلٰهي صادق، وبإعلانات إلٰهية واضحة. لأنه بما أن ربنا يسوع المسيح هو «ممتلئ نعمةً وحقًا» (يو ١:١٤)، «ومِن مِلْئِهِ نحن جميعًا أخذنا» (يو ١:١٥)، فعلى قدر ما هو كامل في ناسوته يُعطينا بِقَدر هذا الملء، لكنه يُعطينا كعربون، أو كسَبْق تذوُّق للخيرات السماوية التي سننالها كاملة في الدهر الآتي. فنحن ننال هنا «عربون الروح» (٢كو ١:٢٢)، و «رُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا» (أف ١:١٤)؛ إلَّا أنه لابد من أن ننمو في هذا الروح لنبلغ «إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أف ٤:١٣).

ولنا في تجسُّد المسيح، النموذجُ والمَثَل لِمَا يحدث وما سيحدث فينا. فكما أسبغ الرب يسوع المسيح هٰذه الحياة، وهٰذه القوة على الطبيعة البشرية التي تجسَّدها (والتي يُسمِّيها الإنجيل وتعليم الآباء أحيانًابكلمة «جسده»)، هكذا بنفس الطريقة يهبهما لنا نحن الذين نؤمن به. فإنَّ أوَّل عمل قام به المسيح هو تقديس الطبيعة البشرية التي تجسَّدها، أو بحدِّ تعبير الآباء القديسين: «**أَلَّهَ الجسد الذي اتَّخذه**».

ومن خلال هذا العمل الأوَّلي الذي أتمَّه المسيح بجسده، انتقل هذا الفعل التقديسي إلى الطبيعة البشرية واعتُبِرَت أنها قد «تقدَّست» فيه أو «تألَّهت» فيه، أو بحدِّ تعبير القُدَّاس الغريغوري في مناجاة للمسيح: «باركتَ طبيعتي فيك».

فكل قداسة لاهوته التي نضحت على جسده، أصبحت ميراثًا للبشرية من خلال هذا الجسد بسبب اتحاده باللاهوت، وبهذا التقديس صار المسيح المُلقَّب بـ «**آدم الثاني**»، مُتَفَوِّقًا على **آدم الأول** في الطهارة والنقاوة التي كان عليها قبل السقوط. وبهذا الفعل الخلاصيِّ الأوَّلِ، يكون المسيحُ قد رفع عن كاهِلِ البشريَّةِ ثِقَل الضعف والميل للخطيئة التي **ورثتها الطبيعة البشرية من آدم**.

لقد صار المسيح بهذا – وبحسب تعبير القديس كيرلّس الكبير – الأصل الجديد، والجذر الثاني لشجرة الجنس البشري. وهو مستعدٌّ دائمًا أن يُجدِّد كل يوم أيَّ ابنٍ لآدم الأول، يُقْبِلُ إليه ويؤمن به ويُولد جديدًا من الروح، أو يُمارس توبته وعودته للاتحاد بالمسيح، بعد كل نكوص كمَنْ يعود إلى ينبوع تجديده وإحيائه:

[بالرغم من أنَّ الإنسان قد تغرَّب عن الله وأحزنه بسبب عصيانه وخطاياه التي لا تُعدُّ، إلَّا أنَّ المسيح قد أرجعه مرَّةً أُخرى إلى أمَامِ وجهِ الآب، وذٰلك في المسيح، كما تغرَّب من قِبَل آدم الأول] (١).

ففي المسيح أُرجِعَ الإنسان مرَّةً أخرى ليتراءى أمام حضرة الآب:

[في آدم مات أصل الجنس البشري. و(المسيح) كأنه أُمٌّ، فنحن الذين وُلدنا منها قد أزهرنا من جديد في المسيح. ونحن نوجَد ونخلُص إن اتَّخذنَاهُ حَياةً وأصلًا ثانيًا لنا](٢).

٢. في التجسُّد تحقَّقت المصالحة مع الله في المسيح:

وبسبب المحبة الأبويَّة للآب تجاه المسيح، والمحبة البنويَّة للمسيح تجاه الآب، وبسبب قداسة وَبِرِّ المسيح، يتطلَّع الآب إلى المؤمنين المتَّحدين بالمسيح، بنفس الحبّ الذي يحبّ به ابنه الوحيد. وبهذا الطريق، أي بصيرورة ابن الله إنسانًا، جدَّد الله الجنس البشري وصالحه حقًّا ومن الأساس لنفسه، وبرَّره بالطريقة الحقَّة للتبرير. (**سرّ التدبير كان شاملًا وكاملًا**).

وفي مثال التجسُّد، يظهر جليًّا كيف أنَّ الطبيعة البشرية لكونها وُلدت متَّحدة بأقنوم الابن، تقدَّست وتبرَّرت من الأساس. فسلام البشرية مع الله، يَكْمُنُ في المحبة البنوية التي يحب بها المسيح الآب؛ وهذا يعني في النهاية، أنَّ الطبيعة البشرية قد خُلِقَت من جديد الخلقة الثانية الجديدة. ولكنها هذه المرّة، كانت خلقة بمحض حريتها ومشيئتها! فَبِرُّ الله وسلامه، لم يُفْرَضَا على البشرية رغمًا عن إرادتها، ولا صارا لها من الخارج (كما كان في ناموس وفرائض العهد القديم)، بل تغلغلا داخلها، بنفس الطريقة التي تتشرَّب بها الأرض الواطئة مياه المطر النازلة من الأعالي.

٣. توافُق واتجاه المشيئة في المسيح مع مشيئة الآب، أدَّى إلى تبرير البشرية أمام الله:

ولكن أفعال البِرِّ والسلام والمصالحة مع الله، هذه ما كانت لِتُحَقَّقَ للناس جميعًا لولا تَحَقُّقُهَا أولًا في شخص المسيح، الذي فيه توافقت، وتوحَّدت مشيئته مع مشيئة الآب. ففي المسيح كانت مشيئته متوحِّدة ومتوافقة مع مشيئة الآب (**للمسيح طبيعتان، ومشيئتان، وإرادتان، وفعلان لأنَّه إلهٌ كاملٌ، وإنسانٌ كاملٌ بلا خطيئة**): «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (في بستان جثسيماني: لو ٢٢:٤٢؛ مت ٢٦:٣٩ – راجع يو ٤:٣٤؛ ٥:٣٠؛ ٦:٣٨–٤٠؛ عب ١٠: ٧... إلخ).

هذا التوافُق والاتحاد في المشيئة يضعنا في الحال أمام «صورة الله» في نقاوتها وبهائها. والمسيح لأنه هو صورة الله، فيكون التجسُّد قد أعاد للبشر عظمة وكمال صورة الله. لقد كان المسيح فعلًا يحمل عقلًا غير مُستعبَد للشهوات، والدوافع الدُّنيوية المضادة لله. وفي هذا الصدد يقول **القديس أثناسيوس الكبير**:

[إنَّ كلمة الله أتى بشخصه، لأنه هو وحده صورة الآب، وهو الذي كان في مقدوره أن يُعيد خلقة الإنسان الذي سبق أن خُلِقَ على صورته](٣).

والسلام الحقيقي والبِرُّ الكامل اللذان للمسيح مع الله، أصبحا بالتجسُّد مُتاحَيْن لكلِّ مَن يؤمن به، سلامًا حقيقيًا وَبِرًّا كاملًا، وذلك باتحاد المؤمن بالمسيح، لأن الشركة الأزلية الكائنة بين الآب والابن، صارت تحتضن في داخلها – بمقتضى التجسُّد – كلَّ مَن يؤمن بالمسيح. فقداسة المسيح متاحة للكل، وهي موهوبة للكلِّ. فالابن حينما تجسَّد، لم يكن منغلقًا على ذاته في فردية، بل أوصل للكل نفسه بكل قداسته وغِنَى نعمته: «مِن أجلهم أُقدِّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضًا مُقدَّسين في الحق» (يو ١٧:١٩). فكل مَن يتَّحد

القديسان أثناسيوس وكيرللوس

بالمسيح بالإيمان والمشيئة، يُوصِلُ له المسيح مشيئته الطاهرة.

وإن كانت المشيئة البشرية العتيقة فينا قد قطَّعت أَواصِر التواصُل والوحدة بيننا وبين الله، وبيننا وبين إخوتنا البشر، بانحيازنا للذَّات والشَّهوات الأنانيَّة؛ ففي المسيح تتجدَّد هذه المشيئة البشرية، وتتغيَّر من عُتقها إلى جِدَّةِ مشيئة الله الذي يهب الحياة والمحبة والوحدة للبشر. لذلك فالذين يتَّحدون بالمسيح، لا يعودون ليكونوا سببًا في تفكُّك أواصر الوحدة بين المتنافرين؛ بل بالعكس، يكونون دائمًا نواة وحدة وتوحيد ومصالحة، وذلك بسيرتهم الطاهرة المنزَّهة عن كل أنانية وانحياز للذَّات، بل والمُفعمة بكل بذل وإيثار وامتداد وعطاء.

وما زال المسيح، بمشيئته الواحدة المتوافقة والمتوحدة مع مشيئة الآب المصبوغة بالحب، ما زال يُمارس تأثيره وفعله على الجنس البشريّ للوصول إلى الوحدة والاتحاد، سواء بينهم وبين الله أو مع بعضهم ؛ وذلك أولًا بمثال الكنيسة، أي بمثال أعضائه المتَّحدين به بالإيمان، والمتَّحدين ببعضهم بالمحبة.

يقول **القديس أثناسيوس**:

[إنَّ الكلمة لم يكن محصورًا داخل جسده، بل كان حاضرًا في نفس الوقت في كلِّ بقعة من أركان الكون، بينما هو خارج الكل. وكان مُستعلنًا بأعمال جسده، وفي نفس الوقت بعمله في سائر أرجاء العالم](٤).

وآية التجسُّد تُرينا أنَّ تجسُّد الكلمة، صار العنصر الفعَّال في تحقيق وحدة الجنس البشري الذي تفتَّتَ وتشرذمَ بسبب الخطيئة؛ وذلك لأن

أقنوم الكلمة حينما تجسَّد، فقد تجسَّد ليس في إنسان واحد اختاره الله من بين البشر، بل تجسَّدَت الطبيعة البشرية ذاتها. والمسيح بتوحيده وتجميعه الطبيعة البشرية كلها في نفسه، أعطى لأفراد البشرية المتعدِّدين إمكانية الوحدة فيما بينهم، إذا آمنوا بالمسيح ونالوا فعالية عمله الخلاصي من أجلهم.

٤. مثال حياة المسيح يُعطينا القوة على طاعة الله:

إلَّا أنه ما زالت هناك أبعاد أخرى للتجسُّد. لأنه إن اقتصرنا في رؤيتنا للمسيح على أعماله الخلاصية، من **صلبٍ وموتٍ وقيامةٍ** دون النظر إلى حياته على الأرض كإله متجسِّد، فإننا نُفوِّت على أنفسنا منفعة كبيرة من وراء تعاليمه، والمثال الطاهر لحياتِهِ القُدْسِيَّةِ. فهذه التعاليم وهذه الحياة لا تشرح فقط معنى **صلبه وموته وقيامته**، بل وتُعلِّمنا وتُعطينا القوَّة لأن نحيا في طاعة الله أيضًا. فالتبصُّر «الثيئوريا» والتمعُّن في حياة المسيح، وأعماله وتعاليمه يهباننا قوَّةً للاقتداء به. وفي ذلك يقول **القديس أثناسيوس الكبير**:

[لقد تحوَّل الناس عن «الثيئوريا» (التأمُّل) في الله «فوقَ»، وكانوا يبحثون عنه في الاتجاه المضاد «تحت» فيما بين المخلوقات والمحسوسات؛ لكن مخلِّصنا كلنا كلمة الله في عظيم محبته، اتَّخذ لنفسه جسدًا](٥).

لقد أوضح ابن الله من خلال حياته في الجسد على الأرض، قيمة الحياة التي نحياها بالجسد على الأرض، في عملية تكميل خلاصنا. لقد أظهر لنا بالقدوة والمثال كيف يجب أن نُجاهد ونحن على الأرض من أجل أن نعيش في مصالحة مع الله ومع القريب، مصالحة مُفعمة بالمحبة.

إنَّ حقيقةَ انفتاح اللهِ هكذا على الوجود الأرضي المخلوق، إذ رَضِيَ أن يحيا هذا الوجود من أجلنا؛ يُظْهِر أنَّ لهذا الوجود قيمة في نظره، وأنه سينعكس هناك علينا في ذلك الوجود الأبدي، خارج هذا الجسد في الدهر الآتي.

لقد أراد الرب أن يُقدِّس هذه الحياة الحاضرة كمَعْبَر إلى الحياة الأبدية، كما يقول **القديس أثناسيوس الكبير**:

[فإنَّ الشافي والمُخلِّص رأى أنه يجب أن يتماشى بنفسه مع تلك الموجودات، لكي يُبرئها من الشرِّ، لذلك صار إنسانًا، واتَّخذ الجسد أداته البشرية، وبهذه الوسيلة استعلَن نفسه للجميع](٦).

وقد اتَّخذ القديس أثناسيوس من كلمات بولس الرسول: إننا يجب أن ننمو في المحبة لكي تُدركوا: «مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ» (أف ٣:١٧-١٩)، مَدْخَلًا لهذا التعليم:

[إن إعلان الكلمة لذاته هو في كل بُعْد واتجاه: العلو في الخليقة، وأسفل في التجسُّد، والعمق في الجحيم، والعرض في سائر أنحاء العالم. فكل الأشياء قد امتلأت بمعرفة الله. ولهذا السبب لم يُسرع بتقديم نفسه ذبيحة حالًا، لأنه إن كان قد أخضع جسده للموت في الحال ثم قام ثانية، لما صار موضوع رؤية لحواسنا؛ ولكن على العكس من ذلك، فقد بَقِيَ في جسده وترك نفسه مرئيًا فيه، وأتى من الأعمال واجتراح الآيات التي أظهرته أنه ليس فقط إنسانًا بل وأيضًا الإله الكلمة... الكلمة خضع لأن يكون ظاهرًا في جسد، لكي يقدر أن يُركِّز حواسهم (أي البشر) على نفسه كإنسان ويُقنعهم من خلال أعمال بشريته أنه ليس فقط إنسانًا بل وأيضًا إلهًا](٧).

فالتأمُّل والتمعُّن في أعمال المسيح، والجهاد للاقتداء به؛ هي عناصر هامة في تكميل خلاصنا في المسيح. له المجد إلى الأبد، آمين.

(١) القديس كيرلس الكبير – "العبادة بالروح والحق": ٩.
(٢) "العبادة بالروح والحق": ١٠.
(٣) "تجسُّد الكلمة": ١٣. (القديس أثناسيوس)
(٤) "تجسُّد الكلمة": ١٧. (القديس أثناسيوس)
(٥) "تجسُّد الكلمة": ١٥. (القديس أثناسيوس)
(٦) "تجسُّد الكلمة": ٤٤. (القديس أثناسيوس)
(٧) "تجسُّد الكلمة": ٣٥. (القديس أثناسيوس)

ميلاد المسيح – للقديس غريغوريوس النزينزي

تجسَّدَ بالإنسان، صورتِهِ الخاصة، واتخذَ بشريَّتنا لكي يفتديه واندمجَ في نفس روحانيَّة لكي يخلِّص نفسي مطهِّرًا المثيلَ بالمثيلِ. أخذ من الإنسانيّة كلّ شيء ما عدا الخطيئة. صار الله إنسانًا وجمَعَ الجوهرين المتناقضين: الجسد والروح. حُبِلَ به من الروح القدس في أحشاء عذراء طاهرة بالنفس والجسد. الروح يؤلِّهُ والجسد تألَّه. يا لهُ من اتحاد غريب واختلاط مدهش: هو الكائن ويولَد الآن! جعَلَ نفسه خليقةً وهو غير مخلوق! لا يسعه الفضاء، وهو ينحصر في حدود نفس روحانيّة تقوم بين الالوهيَّة وكثافة الجسد! يُغني ويُصبح فقيرًا! يأخذ شقاءَ جسديًا لكي يُغنيني بألوهيَّته! هو مُفعَمٌ لكنه يُفْرِغُ ذاته: يلاشي مجدَهُ لوقتٍ ما، لكي أبلُغَ مِلأَه.

لِمَ هذا الإسراف في الجودة؟ وأيُّ سرٍّ يُحيقُ بي؟

القديس غريغوريوس النزينزي

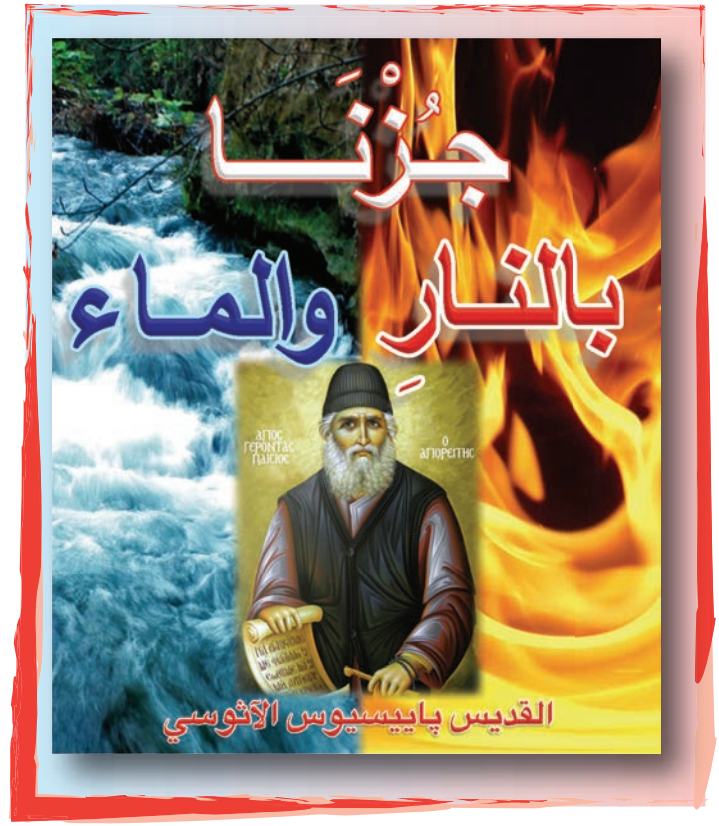

✝ مواجهةُ أَلَمِنا ✝

✝ ياروندا، ما هو الألَمُ الذي تظن أنه غيرَ مُحتَملٍ ؟

✝ الأَلَمُ الذي يجعلُ الدموعَ تجري من أعيُننا! هٰذه الدموعُ ليست دموعَ التوبةِ، ولا دموعَ الفرحِ، فأيُّ نوعٍ من الدموع هي باعتقادِكِ؟

– أليسَت هي دموع الاستشهادِ، ياروندا؟

– بالضبط، إنَّها دموعُ الاستشهاد.

– ياروندا، عندما أُعاني من ألَمٍ حادّ، يَصعب عليَّ أن أقولَ: «المجدُ لك يا الله».

– لماذا تستصعبين ذلك؟ فَكِّري بآلامِ المسيح ومعاناته – **الضَّرب، الشتائم، الجَلْد بالسِّياط، والصَّلب.** (متى ٢٧:٢٦ مرقس ١٥:١٥– ٣٢ ، لوقا ٢٣:٢٣–٤٣ ، يوحنّا ١٩:١–٢٣). وقد احتمل كُلّ شيء، «ولمْ يوجَد في فمه إثمٌ» (أشعيا ٥٣:٩)، وذلك من أجل خلاصنا. لهذَا يجبُ أن تقولي، عندما تتألّمين: «من أجل محبّتك، أيُّها المسيحُ، سأتحمَّل الألَم».

✝ ياروندا، ما هو المطلوبُ من أجلِ تخطّي الألم ؟

✝ الرجولة. غصب الذَّاتِ هو المطلوب.

✝ وكيف يواجه الإنسان ألمًا غير مُحتَمَل ؟

✝ اذا كان إنسانًا عالميًّا، يمكنه احتماله بأُغنيةٍ يردّدها، وإذا كان إنسانًا روحيًّا فبترتيلِ المزامير والترانيم.

في أحدِ الأيامِ، عانَى والِدي من حُمَّى عالية وصداعٍ قويّ. فماذا فعَلَ؟ أكَلَ سردينًا مالحًا، وشرب كأسًا من النبيذ وبدأ يُغَنِّي: "استيقظ! أيُّها العبدُ المنكود الحَظّ". وغيرها من الأغاني القديمة المعروفة في فترة ما قَبلَ الثورةِ عام ١٨٢١، ثُمَّ تحَسَّن وضعه! نحنُ، أيضًا، يجب أن نُرتِّل حتَّى نطرد الألم! أُصِبتُ مرَّة بالزُّكامِ وعانيتُ من صُداعٍ حادّ لدرجةٍ أحسستُ أنَّ رأسي سَينفجرُ. فبدأتُ أُرتِّل ترتيلةً لطيفَةً فذَهَبَ الصُّداع. إنَّ ترتيل المزامير والترانيم مع ترداد صلاة يسوع، يُساعِدُ كثيرًا في مثلِ هذه الحالاتِ. فهي تريحُ النفسَ، وتُلطِّفها، لأنّ الآلام المتواصلة، والأحزان ترهقها وتُفقِدها حرارتها. في الليلة الماضية لم أستَطِع النومَ بسبب الألَم فقلتُ لنفسي، قد أموتُ ولن أحيا لأُشاهدَ الصباحَ، وعندها سأستيقظ ... ليومٍ عظيمٍ. ففي الحياة الأخرى، لن يكونَ هناك مساءٌ أو نهارٌ. عندها أخذتُ ... حبَّةً، رتَّلتُ: «يا ربّ بأوجاعِ قدّيسيك ...» **(ابوليتيكون الشهداء الأربعين، الذين تُعيِّد لهم في ٩ آذار شرقي)**. دام مفعول هذه الحبة طوال الليل! هل لدى الأطباء حبّة كهذه هنا؟

✝ ياروندا، يقول الناس أنَّ الألم يشتدّ في الليل ؟

✝ نعم، ففي الليل يصير الإنسان ثقيلًا وأكثرَ حساسيَّةً للألم. إضافَةً لذلك، هناك رفقةٌ تُحيطُ بالمرضَى أثناء النهار، فيتجاذبون أطراف الحديثِ، ويزداد نشاطهم فينسون أَلَمَهم نوعًا ما. أمَّا في الليل، عندما يكونون لوحدهم، فيتركّز ذهنهم في الألَمِ، ويتخيّلون أنَّ الوجعَ قد اشتَدّ. في المرض نُعاني من الآلام، لكن علينا أن نُدير الزرَّ على موجةٍ أُخرَى حتَّى ننسَى. فإذَا لمْ يُواجهِ الإنسانُ الألَمَ بطريقَةٍ صحيحة، فسوفَ يُضاعِفُ أوجاعه. لأنَّ التفكيرَ بالألَمِ يُضاعفهُ. لكن بفكرٍ واحدٍ حَسَنٍ، كتذَكُّرِ الذين يعانون أكثر منَّا، يمكنُ أن ننسى الألَمَ، حتّى لو لم يَختَفِ كليًا.

✝ ياروندا، الألمُ هو إنذارٌ بأنّ شيئًا ما يحدثُ لجسدنا. فأيُّ انتباهٍ علينا أنْ نولي له ؟

✝ يجب. أن يختبر المرء قدرته على التحمّل، ووفقًا لها عليه أن يَنتبه. هذا الأمرُ مهمٌّ تحديدًا عندما نكون في سِنٍّ متقدمة. فالسيّارة القديمة لا تستطيع إكمال السِّباق كما كانت تفعل عندما كانت جديدة، وإلَّا ستطير الإطارات هنا، ويُترَكُ الكربوراتور هُناك (جهاز في محرك البنزين، هو العنصر الذي يخلق خليطًا من الغاز والهواء لتشغيل المحرك. تم اختراع المبخر في عام ١٨٩٣ من قبل المهندس المجري دونات بنكي) ... في الفترةِ التي عانيتُ فيها من الوجع في ظهري، لم أستَطع ترديد صلاة يسوعَ بالمسبحةِ وأنا واقفٌ. وفي اللحظةِ التي أشعرُ فيها ببعضِ التحسُّنِ، كنتُ أرددّها وأنا واقفٌ معَ سَجداتٍ كبيرةٍ، فيعودُ الألَم ثانيةً. عندما كنتُ أجلس قليلًا، ثمّ أقول: «فلأُجرِّب ثانيةً». ثمّ يحدث الأمر نفسه فيما بعد، لم أُتابع لكن على الأقلّ كان ضميري مُرتاحًا.

يَا رَبُّ هَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَا
وَٱجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عُمْرِنَا مَدَدَا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا
فَٱلنَّفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

بحث ليتورجي

عظة القدَّاس الإلهي

ارتباط قراءات الإنجيل والعظة بالإفخارستيا:

كانت عِظَةُ الربّ يسوع المسيح في مجمع الناصرة – التي وردت في إنجيل القديس لوقا (لو ٤: ١٦-٢٢) – هي التي أعطت المِفتاح لِمَا كان آباؤنا في القرون الأولى يفعلونه في كنائسهم. ففي أثناء الليتورجية الإلهية كانوا يَعِظُونَ عن الأسفار الإلٰهية، هذه العظات التي تطوَّرت حتى ازدهرت في أيام **العلاَّمة أوريجانوس**.

ويُعتبر قدَّاس الموعوظين أنه القسم الكرازي أو التعليمي من القداس، أما قداس المؤمنين فهو القسم الذي تتم فيه الشركة الإفخارستية. إلَّا أن الربّ يكون حاضرًا في كل منهما، جاعلًا منهما وحدةً واحدة، لأن لكل منهما طقسًا يجعلنا نتقابل مع ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، ويمكن إدراك ملء العبادة المسيحية، عندما نفهم أن المسيح الكلمة سواء المنطوقة، أو في ظهوره السرّي في **الجسد والدم** موجود كل منهما في الآخر، وهكذا يتمم كل منهما وظيفته السرائرية.

وفي التقليد الأرثوذكسي نجد أن خدمةَ كُلٍّ من ليتورجية الكلمة للموعوظين، وليتورجية الأسرار للمؤمنين، إنما هي طقس شامل يشير إلى وحدتهما من الناحية الجوهرية. فليتورجية الكلمة يُقصَد بها، تقديم فصول القراءات الإنجيلية لشعب الكنيسة، وليتورجية المؤمنين لإتمام ذبيحة الإفخارستيا. ولكي تؤدِّي الليتورجية الإلهية غرضها، فمن الضروري عدم الفصل بين **الكلمة «المسيح» وسرّ جسده ودمه**. وعظة القداس – لو أُلقيت على أصولها – يمكنها أن تُبرز الوحدانية بين الليتورجيتين، فهي قسم حيوي من القداس، وتُعتبر عملًا سَرائِريًا. وكونها موضوعة بين قسمَي القداس، فهي تربط الكرازة الإنجيلية بالإفخارستية الإنجيلية، وموضوع كل منهما واحد هو **شخص المسيح**. ولذلك يجب أن ندرس الأُسُسَ التي ينبغي أن تُبنَى عليها عظة القداس لكي تؤدِّي وظيفتها وغرضها.

إنَّ مجال الليتورجية الذي يدخله شعب الكنيسة، يدعوهم إلى المشاركة مباشرةً في شخص الله الكلمة، إذ يسمعون كلمة الله يُكرَز بها في اجتماعهم، ثم يتناولونها بشركتهم في جسد المسيح ودمه. وإذ يكون المسيح المصلوب مرفوعًا أمام عيونهم (غل٣: ١)، تدعو الكنيسة الذين يريدون أن يتبعوه أن يُشاركوا في سر الإفخارستيا؛ فهي تجتذبهم إلى الإحساس بحضور الرب المتجسِّد الذي يكرز به الرسل في قراءات الإنجيل، وتحثهم على اتخاذ موقف في حياتهم على أساس كلمة الله.

إنها تدعو المصلِّي أن يأخذ كلام الإنجيل بِجِدِّيَّةٍ: إنَّ شخص المسيح وآلامه وقيامته التي قُدِّمت لأجله هو شخصيًا، إنما هي رسالة الإنجيل الذي تُتْلَى في قداس الموعوظين.

وظيفة الطقس الليتورجي هي أن تجعل مسيح الإنجيل حاضرًا وسط المجتمعين. والإيمان بربوبية المسيح على القلوب، إنما هو هدف كل كرازة مسيحية، وكل روحانية وطقوس ليتورجية. وهذا ما يتفق مع قول **القديس باسيليوس**: "ففيما نحن أيضًا نصنع ذكر آلامه... نُقرِّب لك قرابينك..." (القداس الإلهي).

ولا تُصَوِّر الكنيسة موت المسيح على أنّه كان من أجلنا فقط، بل أنه الربّ في مجيئه الآتي. فقواعد اللغة في هٰذه الصلاة المذكورة أعلاه، تجعل من الواضح أن هذا المجيء الثاني قد تمَّ بالرَّجاء. فمجيء المسيح إنما هو حقيقة حاضرة، ونحن خاضعون لدينونة هذا المجيء الآتي منذ الآن. فإن كانت الليتورجية تكرز بإنجيل المسيح بكل ملئه، فهي ينبغي أن تستعلن المسيح وكلمته لشعب الكنيسة، وتُقدِّم لهم الأساليب التي تشير إلى ملكوت الله، باعتبارها حياتهم هي التي يعيشون بها .

البنية الأساسية لشعب الله:

قام شعب إسرائيل القديم حينما دُعِيَ للخروج من عبودية مصر، وتثبَّتَ عهد الله معه عند سفح جبل سيناء عندما تسلم كلمة الله. إن الله لم يحرِّر هذا الشعب فحسب، بل وضع له كيانه عندما منحه كلمته. وهكذا ختمه بجعله شعبًا خاصًا **بيهوه** دون أي إله آخر، وهذا هو عهد ناموس موسى: العهد القديم، أي أنه خُتم بكلمة الله. هكذا أيضًا في ليتورجية العهد الجديد، فإن دعوة الله لعبادته، وكلمته التي يُكرَز بها في القراءات الإنجيلية وعظة القداس والآيات الكتابية المرتبطة بنص الصلوات الليتورجية؛ كل هذا هو الذي أنشأ البِنية الأساسية لجماعة العابدين وعلاقتهم بالله. وقد خُتمت هذه العلاقة بسر الإفخارستيا الذي هو العلامة المحسوسة الدالة على عضوية شعب الله في جسد الربّ.

شعب الكنيسة إنما يجتمع حول التعاليم الرسولية التي تبقى هي المعيار الرئيس لكيانه. والتجمُّع الإفخارستي للمؤمنين هو الذي يختم على كيان كُلِّ معمَّد، إمَّا بالكلمة المنطوقة، أو بالجسد المكسور اللذين للمسيح

الواحد الذي هو القائد الوحيد للكنيسة، ومصدر حياة أعضائها. ولنا مثال على ارتباط عظة القداس بالسرّ المقدس في سفر الأعمال القائل: «وفي أول الأسبوع، إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزًا، خاطبهم بولس... وأطال الكلام إلى نصف الليل.» (أع ٢٠: ٧).

لقد قَبِلَ إسرائيل في القديم خلاص الله لهم من عبودية مصر، كما قبلوا الناموس الذي جعلهم تحت سلطان الله، ولكنهم عندما تعدَّوا هذا الناموس حلَّ عليهم غضبه ودينونته، والذين دنَّسوا عهد الله استُؤصلوا من بين الجماعة. هكذا أيضًا في كل قداس، فإن اشتراك المسيحيين في سر الإفخارستيا يضعهم تحت سلطان كلمة الله، وبالتالي يُقدِّمُ لهم الخلاص، وينذرهم بحكم دينونة الله. فعندما نقترب من جسد الرب ودمه، نكون قد سمعنا كلمة الله، ونكون قد قرَّرنا موقفنا إن كُنَّا نَسْعَى إلى دوام عضويتنا كرعية مع القديسين وأهل بيت الله.

قال الربّ لتلميذيه: «أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا»؟ فإذا كانت إجابتنا: «نستطيع» (مت ٢٠: ٢٢) واشتركنا في الإفخارستيا؛ حينئذ نكون مسؤولين أمام الله عن أفعالنا إن فشلنا في تنفيذ وصاياه، لأننا سلَّمنا أنفسنا لتحقيق كلمة الله في حياتنا.

لقد وُضعت عظة القداس بين قراءات الإنجيل وتقديس السرّ، لكي تشجِّع المجتمعين على فكِّ القيود التي تربط قلوبهم بعبودية المتطلبات الدنيوية، وتوجِّه انتباههم نحو ملكوت الله. فالعظة، بتوضيحها للقيمة الحقيقية للممارسة الليتورجية، تلعب دورًا حاسمًا في تحديد استجابة شعب الكنيسة، لاختبار كلام الإنجيل المقروء أثناء الليتورجية. ومن داخل الليتورجية – التي ينبغي أن تكشف العظة عن أعماقها – يتغذَّى المؤمن بكلمة الله.

مهمة عظة القداس:

مَهَمَّتُنَا هي الكرازة بالإنجيل وتوضيح معانيه لجماعة المصلِّين، وهي فِعلٌ ليتورجي بالكامل. وكيف ذلك؟ الإجابة: هي في فحص وضع العظة داخل القداس. إنها تتبع قراءات الإنجيل، وذلك حسب التقليد الذي انحدر إلينا منذ منتصف القرن الثاني على الأقل. ولأنَّ العظة تشهد لكلمة الله، فقد وُضعت داخل القداس الذي يُعطينا الكلمة الإلهي من على المذبح. ويؤيد **القديس الشهيد يوستينوس** ذلك بقوله:

[في يوم الأحد يوجد اجتماع... حيث يُتلى ما كتبه الرسل والأنبياء حسبما يسمح الوقت. وبعد ذلك يحثنا قائدنا في حديث (أي عظة) ويدعونا لنتشبه بتلك الأمور النبيلة. ثم نقف جميعًا معًا لنرفع صلوات، ثم يُؤْتَى بخبز وخمر وماء، ويرفع القائد صلوات وتشكُّرات بقدر استطاعته، ثم ينال كل واحد هذه القرابين بعد تقديسها، كما أنها تُرسَل للغائبين مع الشمامسة.]

فالدور الذي تؤدِّيه العظة في شرح كلام الله، يجعلها جزءًا أساسيًّا من ليتورجية كلمة الله، وهذا يجعلها غير منفصلة عن الشعائر الطقسية لسرّ الإفخارستيا. ويرسل روح الله في العظة كلمة لمنفعة المستمعين بصفة خاصة بواسطة الواعظ، وهي تهدف إلى جحد المستمعين لأيِّ رِضًا ذاتي عن أنفسهم، كما أنها تُشير للسامعين إلى أن حياتهم تتطلَّب إصلاحًا وتجديدًا مستمرًا، وأن أفعالهم تقع تحت حكم دينونة الربّ الآتي. فمن أهم وظائف العظة هي أن يتعرف شعب الكنيسة على الرب، وأن يميِّزوا جسد الربّ في السرّ المقدّس. فكما نتقابل مع ربنا وفادينا في جسده ودمه، نتقابل أيضًا معه هو ذاته في كلمات الوعظ.

وفي مفهوم **القديس بولس** العميق للارتباط بين الإفخارستيا وكلمة الله، يوضح استياءه من بعض مؤمني كورنثوس، الذين لا يُنفِّذون وصايا الإنجيل الذي سلَّمه لهم، كما يظهر في تصرفاتهم أثناء العشاء الرباني؛ وهكذا يرى أنهم صاروا «مجرمين في جسد الرب ودمه» (١كو ١١: ١٧-٣٤). فلأنهم لم يبالوا بكلمة الله لم يمكنهم أن يميِّزوا جسد الربّ عندما يقتربون إلى مائدته. فالمؤمنون يجب أن يروا المسيح في الإفخارستيا بواسطة الكلمة التي بُشِّروا بها، وإلاَّ فإنهم لن يميِّزوا جسد الرب المقدَّم ذبيحةً لأجلهم.

كما أن وضع العظة بعد القراءات الإنجيلية، يزوِّد المؤمنين بفرصة ممتازة لكي ينتفعوا من تعليم الإنجيل في تغيير قلوبهم. فالعظة ينبغي أن تزرع في قلوب السامعين بذار الإنجيل الذي سمعوه بعناية، حتى حينما يقتربون من العلامة المحسوسة لكلمة الله، أي جسد الربّ المكسور ودمه المسفوك، يتعرَّفون على ربهم: «فلما اتَّكأ معهما، أخذ خبزًا وبارك وكسَّر وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما. فقال بعضهما لبعض: ألم يكن قلبنا مُلتهبًا فينا، إذ كان يُكلِّمنا في الطريق ويوضِّح لنا الكتب» (لو ٢٤: ٣٠-٣٢). فكلمة الله وشرحها في العظة يُعلنان الإفخارستيا في معناها وقوتها. ورسالة الإنجيل، إذا عشناها، تكون هي وحدها الفعَّالة في السماح لنا بالاشتراك في ذبيحة المسيح.

إذا نظر المرء إلى نفسه بإخلاص وقاسها على ضوء كلمة الله، تصير نقائصه واضحة وتبرز حاجته إلى التوبة عن خطاياه التي صار واعيًا لها. والإنسان لا يكون دائمًا واعيًا لأفكاره إن كانت خاطئة أم صحيحة، فالعظة الفعَّالة تكشف له خطاياه التي يرتكبها دون معرفة، وبالتالي تكون التوبة عنها هي التي تفتح له أبواب الملكوت. وكأس الإفخارستيا لا تحاسب المشاركين فيها فقط بسؤالهم: «أتستطيعون أن تشربوا الكأس التي سوف أشربها أنا»؟ ولكنها أيضًا تؤكِّد لهم أنهم سيقومون في اليوم الآخر (يو٦: ٥٤). هكذا أيضًا العظة ينبغي أن تُقدِّم الخلاص

المفرح للذين يتوبون، حيث إنَّ الَّذين يوفون نذورهم للرب يتناولون كأس الخلاص: «ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لي؟ كأس الخلاص أتناول، وباسم الرب أدعو. أوفي نذوري للرب» (مز ١١٥: ١٢-١٤). فالتوبة والخلاص هما عمودا الإنجيل، والعظة التي تبشر بالإنجيل يجب أن تتضمن كُلًّا منهما.

مضمون عظة القداس:

يجب أن تُبنَى عظة القدّاس على ما تتضمنه قراءات الإنجيل الخاصة بقداس اليوم وتشرحها، حيث إن الكنيسة اختارتها بعناية بحيث يدور محورها حول مضمون إنجيل القداس. ومع ذلك فيُستحسن أن يَقْرِن الواعظ ذلك بأمثلة من الليتورجية، أو سِيَر القديسين أو المبادئ الروحية التي تعلَّمناها من الآباء، كما يستخدم أمثلة قصصية من أحداث الحياة اليومية بحيث تؤيد ما تتضمنه قراءات اليوم. فكل ذلك يثير انتباه السامع بما يطبع في ذهنه أثرًا ربما يدوم على مدى حياته كلها. كما أنه يجب عليه أن يُدَعِّم في أذهان السامعين العلاقة بين كلمة البشارة وسرّ الإفخارستيا. فالهدف الليتورجي من العظة، هو توجيه القراءات الإنجيلية نحو إكمال تحقيقها في الإفخارستيا، على أن يُراعي الواعظ جمال الأسلوب وحيويته وعدم الإسهاب، فيُركِّز على موضوع واحد حتى لا تتشتت الأفكار، وبذلك يغرس في النفوس رسالة تبقى فيها عندما تتقدم للتناول. وبالطبع، فإن روح العظة ينبغي أن تُلائم الجو الذي يعيشهُ شعب الكنيسة.

وبحسب قوانين الكنيسة وتقاليدها الأصلية، يجب على الذي يقوم بمهمة الوعظ أن تتوفر فيه إحدى الرتب الكهنوتية الثلاث: الأسقفية، أو القسوسية، أو الشموسية؛ وذلك لأن أي خادم له إحدى تلك الرتب يكون مشهودًا له من شعبه، أن روح الله هو الذي يتكلَّم فيه عندما يعظ. وكأن الواعظ وهو على المنبر يمثِّل **الكاهن الأعظم الرب يسوع المسيح** الذي يُقدِّم الذبيحة، ثم يُقدِّمه كذبيحة على المذبح؛ لكي يشترك فيه المؤمنون لأجل خلاصهم. فهو يُزيل البرقع الموضوع على كلمة الله، ويكشف عن **نور المسيح الكلمة** بعظاته التفسيرية.

ومن أوضح الأمثلة على اهتمام الواعظ بعظة القداس – كما رأيناها في تراث الآباء – نجدها في عظات القديسين باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم وأمبروسيوس والمغبوط أغسطينوس وغيرهم. ويهمنا أن نشير إلى أن القراءات الكتابية هي التي تضع الأساس لربط السامعين بالخدمة الليتورجية حتى يمكنهم من الدخول في الشركة مع الله والبقاء فيها. وعلى الواعظ أن يكفل بقاء الخيوط التي تربط كلمة الله بالسرّ المقدس منسوجة بإحكام، وذلك لكي يبقى الربّ يسوع دائمًا هو **الربّ والسيِّد المتملِّك على قلوبنا وأذهاننا وتصرفاتنا**. آمين

ميلاد المسيح

للقديس كيرلس الأورشليمي

إن سمعتَ الإنجيل يقول: "كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم"، فافهمه عن ميلاده بحسب الجسد، لأنه ابن داود في ملء الأزمنة، ولكنّه ابن الله قبل كل الدهور، من غير بداية.

تقبَّلَ بنوَّته الجسديّة التي لم تكن له، أما بنوَّته للآب فهي له منذ الأزل. إنّ له أبوين، داود بحسب الجسد، والله الآب بحسب الألوهية. فما هو بحسب داود يخضع للزمان ويُلمَس وله نَسَب؛ ولكن ما هو بحسب الألوهيّة لا يخضع لزمان أو مكان ولا نَسَب له؛ لأنّ «مولده مَن يصفه»؟ «الله روح»، وُلد روحيًّا، بصفته لا جسد له، ولذا لا يمكن الكشف عنه ولا إدراكه. الإبن ذاته يقول على لسان الآب: «الربّ قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتُك». وهذا «اليوم» ليس حديثًا بل أزليّ؛ هو يوم لا يحدّه زمن: قبل كل الدهور «من الرحم قبل الفجر ولدتُكَ».

فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ (لو ١٢: ٢٠):

أَنْتَ أَسِيرُ ٱلدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَّاتِهَا بِمَا يَنْقَضِي.
وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي. وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْفَدُ.
تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ ٱلْأَوْزَارَ وَلِأَهْلِكَ ٱلْأَمْوَالَ. فَإِذَا مُتَّ
حَمَلْتَ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ.

فَأَنْشَدَ الشَّاعِرُ قَائِلًا:

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ ٱلْمَالُ
أَلْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسُرُّهُمُ
فَكَيْفَ بَعْدَهُمُ دَارَتْ بِكَ ٱلْحَالُ
مَلُّوا ٱلْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ
وَٱسْتَحْكَمَ ٱلْقِيلُ فِي ٱلْمِيرَاثِ وَٱلْقَالُ

« مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ. » (رومية ٥: ١٢).

تمامًا كما يصنع الأطباء الكفاةُ الذين يفحصون دومًا وبعمق جذور المرض، ويصِلُون إلى السَّبَبِ المباشر لظهوره، هكذا يصنع الطوباوي بولس. فعندما قال إنَّنا تبرَّرنا، وبعدما أظهر أن هٰذا البِرَّ استعلن في إيمان إبراهيم بالروح القدس، وبموت المسيح لأنه مات لكي يبرِّرنا، يبرهن بعد ذلك وبأسلوب آخر على تلك الأمور التي سبق وأظهرها بدلائل كثيرة من خلال الموت والخطيئة. وقد حاول أن يشرح كيف وبأي طريقة دخل الموت إلى العالم وساد عليه، ويقول إنَّ هٰذا حَدَثَ بخطيئة الإنسان الواحد (**أي آدم**). وماذا يعني وفي شخصه اجتاز الموت إلى جميع الناس؟ لقد اجتاز الموت إلى الجميع لأنه (**أي آدم**) سقط في الخطيئة، وأولئك الذين لم يأكلوا من الشجرة جميعهم صاروا في شخصه مائتين.

«فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لَا تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ.» (رومية ٥: ١٣).

يرى البعض أنَّ عبارة «فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ» (أي حتى أُعطي الناموس)، تعني ذٰلك الزمن الذي يسبق إعطاء الناموس أي زمن هابيل وزمن نوح، وزمن إبراهيم والزمن حتى ولادة موسى. غير أنه لابدّ وأن نسأل ما هي الخطيئة التي وُجِدت في ذلك الزمان؟ يقول البعض إنَّ الرسول بولس يُشير إلى الخطيئة التي حدثت في الفردوس، طالما أنها لم تكن قد بَطُلَت بعد، بل أن ثمرها قد أينع. حيث أن هذه الخطيئة قد حملت الموت للجميع، وقد ساد الموت واستبد. لكن لأي سبب أضاف: «عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ.» أضاف ذلك لمواجهة اليهود، ما يقوله يعني أنه إذا لم تكن هناك خطيئة عندما لم يكن هناك ناموس، فكيف ساد الموت على جميع الذين عاشوا قبل الناموس؟ ويبدو لي أن لهٰذه العبارة لها علاقة بالأكثر بما كان في فكر الرسول بولس، وما كان يريد قوله. وما هو هٰذا الذي كان يريد أن يقوله؟ أراد أن يقول إنَّ الخطيئة وُجِدَت في العالم حتى ذلك الحين الذي أُعطى فيه الناموس، من الواضح أن هٰذا هو ما يقصده، فبعدما أُعطى الناموس، سادت الخطيئة التي أتت من العصيان. لأنه يقول: «عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ.». فلو أن هذه الخطيئة قد جلبت الموت بسبب مخالفة الناموس، فكيف مات كل الذين عاشوا قبل الناموس؟ لأنه إن كان الموت يأتي من الخطيئة، وإذا كانت الخطيئة لا تُحسب إن لم يكن ناموس، فكيف ساد الموت قبل إعطاء الناموس؟

وبناء عليه يكون من الواضح أن الخطيئة لم تأتِ بسبب مخالفة الناموس، لكن بسبب **عصيان آدم** وهذه الخطيئة هي التي حطّمت كل شيء. وما هو الدليل على هذا؟ الدليل أن الجميع ماتوا قبل الناموس، لأنه يقول:

« لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي.»

وكيف مَلَكَ الموت؟ «عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ». ولهٰذا فإن آدم هو مثال للمسيح. وكيف يقول إنه مثال المسيح؟ لأنه كما أن أولئك الذين أتوا من آدم على الرغم من أنهم لم يأكلوا من الشجرة، إلَّا أنَّ الموت قد ملكهم، وهكذا صار آدم سببًا للموت الذي دخل إلى العالم بسبب أكله من الشجرة، وهكذا أيضًا فإن أولئك الذين انحدروا من المسيح على الرغم من أنهم لم يعملوا أعمالًا بارَّة، إلَّا أنَّ المسيح صار سببًا للبِرِّ الذي منحه للجميع بواسطة صليبه.

ولهٰذا فقد اهتم الرسول بولس بالتركيز على عبارة «بالواحد»، وهذا ما يشير إليه باستمرار قائلًا: «كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ» وأيضًا «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ» و«وَلَيْسَ كَمَا بِوَاحِدٍ قَدْ أَخْطَأَ هكَذَا الْعَطِيَّةُ.» وأيضًا «لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ» و«إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ».

"فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِد .... كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً»

وفي كل هٰذا لم يبتعد القديس بولس عن استخدام عبارة «الواحد» ، حتى أنه عندما يسألك يهودي كيف أنه بِبِرِّ واحدٍ أيْ برِّ المسيح، قد خَلُصَتِ البشرية؟ سيمكنك أن تُجيب وكيف أُدينت البشرية كلها بينما من خالف الوصية هو واحد؟ مع الوضع في الاعتبار ولهٰذا أمرٌ مؤكدٌ، أن الخطيئة ليست مثل الهبة وأن الموت ليس كالحياة وأيضًا من

المستحيل أن نقارن الشيطان بالله، لأن الفروق غير محدودة ولا تحصى.

إذًا بالنظر إلى قدرة ذاك الذي فعل كل هٰذه الأشياء، ووفقًا لخطة الله من جهة خلاص البشرية (لأنَّ ما يليق بالله هو أن يخلّص لَا أن يُعاقب)، وهنا مكمن التميّز والانتصار، أخبرني أي مبرّر يمكن أن تتذرع به لعدم الإيمان؟ لأن المؤكد أن هٰذا الَّذي حدث يتفق مع المنطق، وقد برهن عليه الرسول بولس بقوله:

« وَلٰكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هٰكَذَا أَيْضًا الْهِبَةُ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا نِعْمَةُ اللهِ، وَالْعَطِيَّةُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي بِالإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، قَدِ ازْدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ!»

وما يقوله يعني ما يلي: فلو أن الخطيئة استطاعت أن تصنع كل هٰذا (أن **يجتاز** الموت لجميع الناس) وبالطبع من خلال خطيئة إنسان واحد، فكيف لا تستطيع نعمة الله، وليس فقط نعمة الله الآب بل والابن أيضًا أن تحقّقَ الكثير (أي خلاص الجميع)؟ وهذا يُعدّ أكثر تمشيًا مع المنطق. لأنه أن يُدان احد بسبب خطيئة آخر، فمن الواضح أن هٰذا لا يقبله المنطق، بيد أن يَخْلُص أحد بسبب عطية الآخر، فهذا أكثر قبولًا وأكثر تمشيًا مع المنطق. فلو أنَّ البشرية قد أُضيرت بالخطيئة، فبالأولى كثيرًا ستنال فيض النعمة وعطية البِرّ.

إذًا فالطبيعي والأكثر تمشيًا مع العقل والمنطق، قد برهن عليه الرسول بولس كما سبق وأشرنا. فطالما أنه قد قُبِلَتْ فكرة أن بخطيئة الواحد قد **اجتاز** الموت إلى الجميع، عندها من السهل الاقتناع بأنّ عطيّة الواحد سَيَخْلُصُ الجميع. وكون أن هٰذا الخلاص هو ضرورةٌ حتميةٌ، فقد دلل عليه في الآيات الآتية. وكيف دلل على ذلك؟ بقوله:

« وَلَيْسَ كَمَا بِوَاحِدٍ قَدْ أَخْطَأَ هٰكَذَا الْعَطِيَّةُ. لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ، وَأَمَّا الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ.»

ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أن الموت والدينونة يمكن أن تسببهما خطيئة واحدة، بينما نجد أن النعمة قادرة على أن تمحو ليس فقط خطيئة واحدة، بل وتلك الخطايا التي ظهرت بعد الخطيئة الأولى. ولكي لا تكون عبارات مثل (كما) و(هكذا) توازي بين الخير والشر في المستوى، ولكي لا تعتقد عندما تسمع اسم **آدم** أن ما مُحي هو فقط الخطيئة الأولى التي اقترفها **آدم**، فإن الرسول بولس يقول إنه قد مُحيت خطايا كثيرة. وما الذي يوضح ذلك؟ الذي يوضحه هو أنه بعد الخطايا الكثيرة التي اقْتُرِفَت فيما بعد أي بعد الخطيئة الأولى التي سقط فيها **آدم** في الفردوس، انتهى الأمر إلى قبول عطية التبرير. وحيث يوجد بِرٌّ فحتمًا ستتبعه حياة وخيرات لا تُحصى، تمامًا كما يحدث في حالة الخطيئة، فحيثما توجد خطيئة يتبعها موت. لأن البِرَّ هو شيء فوق الحياة لأنه هو جذر أو أصل الحياة.

إذًا مِن حيث أنّ هناك هبات كثيرة قد مُنحت بعطية البِرّ وأنَّ الخطيئة الأولى ليست هي فقط التي مُحيت، بل وكل الخطايا الأخرى، فهذا قد برهن عليه الرسول بولس بقوله: «وَأَمَّا الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ». وبذلك يكون قد برهن بالضرورة على أنَّ الموت قد قُضي عليه نهائيًا. ولأنه قال بعد ذلك إن الثاني (**أي آدم الثاني**) أعظم من الأول (**أي آدم الأول**)، فهناك احتياج أن يبرهن على هٰذا مرَّة أُخرى. فطالما أنَّه بخطيئة إنسان واحدٍ اقتيد الجميع إلى الموت، كما سبق وأشار إلى ذلك، فبالأولى كثيرًا ستستطيع نعمة الواحد (أي نعمة المسيح) أن تُخلّص الكثيرين. ثم دلل على أنه ليست الخطيئة الأولى فقط هي التي مُحيت بواسطة النعمة، بل جميع الخطايا الأخرى. ولم تُمحَ الخطايا فقط بل أُعطي البِرُّ أيضًا. وعلى قدر ما تسبب **آدم** في الأضرارِ، على قدر ما كانت **عطايا المسيح وفيرة ولا تحصى**. ومع أنه أشار إلى كل هذه الأمور، إلَّا أنه يحتاج هنا أيضًا لتقديم برهان أوضح. كيف أوضح هذا البرهان؟ بقوله:

«لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ!»

ما يقوله يعني الآتي: بماذا تسلّح الموت ضد البشرية؟ تسلّح بأنّ إنسانًا واحدًا فقط أكل من الشجرة. فإذا صارت للموت هٰذه السِّيادة الكبيرة بسبب خطيئة واحدة، فكيف يصبح من الممكن أن يكون هناك أناس تحت حكم الموت، وقد حصلوا على نعمةٍ وبِرٍّ أعظم بكثير من الخطيئة الأولى، الأمر الذي جعله لا يقول «نعمة»، بل «فيض النعمة»؟ لأنَّنا لم نحصل على قدر بسيط من النعمة يكفي فقط لمحو الخطيئة، بل حصلنا على فيض النعمة. لأنه بالحقيقة قد أُنْقِذْنَا من الجحيم، وابتعدنا عن الشرّ وَوُلِدْنَا مرَّة أخرى من الله. وقد قُمْنَا، مادام أن إنساننا القديم قد دُفن، وخُلِّصْنَا وتَبَرَّرنا وصرنا أبناء وتقدَّسنا وصرنا اخوة للابن الوحيد الجنس، وورثة معه واتحدنا معه في جسد واحد، وإلى هذا الجسد نحن ننتمي. وكما أن الجسد متحد بالرأس هكذا اتحدنا نحن أيضًا به (أي بالابن).

كل هذا دعاه الرسول بولس «فيض النعمة» مُظهرًا هكذا أنَّنا لم نحصل فقط على ما يُضمد الجرح، لكن حصلنا على شفاء وجمال وكرامة وعلى رتب تفوق كثيرًا طبيعتنا الفانية. وكل أمر على حدة من هٰذه الأمور كان كافيًا بإبطال الموت، إلَّا أنه عندما يتضح أن كل هٰذه الأمور قد ساعدت معًا في إبطاله، فلن يكون له أثرٌ بعد ذلك، ولن يكون ممكنًا أن يخيِّم بظلاله حولنا طالما أنه قد انتهى كليًا. تمامًا كما لو أن شخصًا قد وضع آخر في السجن لأنه مدينٌ له بعشرة فلسات، وليس هٰذا فقط بل ووضع في السجن أيضًا زوجته وأولاده وخدامه بسبب هٰذا الدين، ثم أتى شخص آخر ودفع ليس فقط عشرة فلسات، بل ومنح آلاف العملات الذهبية وقاد السجين إلى الحاشية الملكية، وإلى عرش السلطة العليا وجعله شريكًا في الكرامة السَّامية، وفي الأمور الأخرى المشرقة، فيصير من غير الممكن أن يتذكر بعد ذلك الفلسات التي اقترضها. هٰذا ما حدث لنا، لأن المسيح بالغ في الدفع من قيمة الدَّين الذي كان علينا. وما دفعه كان عظيمًا جدًا، بقدر اتساع البحر إذا ما قُورن بنقطة ماء صغيرة. إذًا

ينبغي عليك أيها الإنسان ألَّا تشك في شيء عندما ترى كل هذا الغنى الوفير من الخيرات، ولا تفحص كيف انطفأت شرارة الموت والخطيئة، عندما غمر هذا البحر الكبير من الهبات الوفيرة هذه الشرارة المتقدة. وهذا ما أشار إليه القديس بولس قائلًا: « الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ».

ولأنه قد برهن على هٰذا بكل وضوح (أي أن أولئك الذين ينالون فيض النعمة سيملكون في الحياة)، فإنه يُقدم نفس الرؤية السابقة مرّة أخرى، مؤكدًا عليها من خلال التكرار بقوله، إنْ كان بخطيئة واحد قد أُدين الكثيرون، فقد تبرَّروا للحياة بالواحد. ولهذا يقول:

« فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا.»

إنَّ ما يقوله القديس بولس هنا يخلق مشكلة كبيرة، إلَّا أنه إذا انتبه المرء بدقة لما يقوله، فإن هذه المشكلة سُتحل بسهولة.

وما هي هذه المشكلة؟

هي أنه قال: « بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً ».

فليس هناك شيء غير معقول في حقيقة أن شخصًا واحدًا ارتكب الخطيئة وصار فانيًا، وأن أولئك المنحدرين منه صاروا على نفس الحال فانين.

ولكن كيف يمكن أن يتبع ذلك أنه من خلال معصية هذا الرجل (**آدم**) يصير شخص آخر خاطئًا؟

فشخص مثل هذا لا يستحق حتى العقاب، لو كان لم يرتكب الخطيئة من ذاته بشكل شخصي.

إذاً ماذا تعنى هنا كلمة «خطاة» ؟

يبدو لي أنها تعني: عرضة للعقاب ومحكوم عليهم بالموت.

العهد القديم في الكتاب المقدس (٩٥)

(أ) اليهود تحت الحُكم اليوناني

(٣٣٢-١٤٢ ق.م.)

ثانيًا: اليهود تحت حُكم البطالسة:

بعد موت **الإسكندر الأكبر** المفاجِيء في بابل، ولم يترك وريثًا للعرش في الإمبراطورية المترامية الأطراف، تنازع على السلطة أربعة من قوّاده، وقُسِّم الميراث المكدوني ليأخذ السلوقيون الولايات الآسيويّة في سوريا وفلسطين، أما مصرُ فكانت من نصيب البطالسة، وبسبب موقع فلسطين الجغرافي ووجودها متوسطة بين السلطتين اليونانيّتين المتنازعتين، أضحَت مسرَحًا لمعارك شديدة نشبت بينهما نتيجة انتقالها من تحت سلطة لأُخرى، وقد جعل بطليموس الأوّل عاصمته الإسكندريّة، وأظهر تسامحًا مع اليهود، وفي سنة ٢٨٠ ق.م. استأثر بطليموس الثاني بالحُكم في فلسطين وأنشأ فيها مُدُنًا يونانيَّة، وفي ظِلِّ السيادة المصرية المتسامحة عاش اليهود في اليهوديَّة فترة من الرَّخاء، ينعمون بالهدوء ويتمتّعون بالرفاهيّة لِأَكثر من مائة عام، وكذلك حظِيَت جالية يهودية كبيرة بحقّ الاستيطان في الإسكندريّة العاصمة العظيمة، فقد تحوَّلت القرية الصغيرة راقودة إلى مدينة الإسكندرية الشامخة بقصورها ومعابدها، مزدهرة بمكتبتها الشهيرة، وصارت أكبر ميناء تجاري في البحر المتوسط، ووصلت إلى قمّة مجدها واشتهرت بمنارتها وتنوَّعت فيها الصناعة، وازدهرت من صناعة ثقيلة مثل بناء السفن الحربيَّة، والسفن التجاريَّة الضخمة إلى صناعات تجارية كالزُّجاج والمنسوجات وأوراق البَردى، إلى صناعات متميّزة كالحفر على العاج والحلي والعطور، وبذلك وصلت المدينة إلى قمّة رِفعَتها ورخائها، وصارت العاصمة التجارية والأدبيّة للشرق، وتوزَّع على أحياء الإسكندريَّة الخمسة، عناصر السكان من إغريق ومقدونيين ومصريين وفُرس ويهود.

وحصل اليهود في الإسكندريَّة على امتيازاتٍ خاصة، وتمتّعوا بحقوقهم المدنية وصار لهم نفوذ واسع في المدينة، ووصلوا إلى مراكز سامية في إدارة البلاد، وفي الجيش، كما عَمِلوا في كثير من الصناعات. وإن كان البطالسة قد أظهروا في حُكمهم سياسة المودّة والتسامح، سواء مع اليهود المقيمين منهم في أورشليم، أو المستوطنين في الإسكندريَّة، إلَّا أنَّ هذه السياسة جعلت اليهود يتأثّرون بالثقافة اليونانيَّة، خاصة يهود الإسكندريَّة الذين أصبحوا يتكلّمون اليونانيَّة والذين كان لهم الفضل في الترجمة السبعينيَّة Sep-tuagint Version تلك التي تمَّت من العِبرية إلى اليونانية بأمر بطليموس فيلادلفيوس في الإسكندريَّة سنة ٢٨٥ ق.م.

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ ٱلضَّلَالَةِ بِٱلْهُدَى
وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِٱلدِّينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ
بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْيَبُ

فضيلة الصوم

رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا!

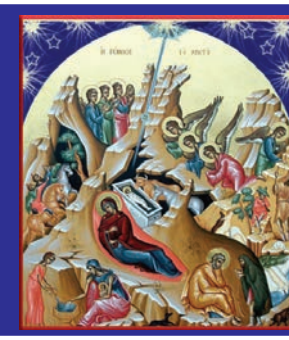

نينوى ويونان، اسمان يستدعي كل منهما الآخر، حتى أنه رغم انتساب هذا الصوم مثلث الأيام إلى "نينوى"، باعتبار أن شعبها هو الذي صامه؛ فإن المؤمنين ينسبون هذا الصوم إلى يونان أيضًا باعتباره النبي الذي بشَّر أهل نينوى، وأنذرهم وحثَّهم على التوبة فآمنوا وغفر الله لهم خطاياهم ورفع غضبه عنهم، وظلت قصة صومهم حتى بعد أكثر من اثني عشر قرنًا نموذجًا يُحتذى في الصوم المثالي.

يونان في العهد القديم:

المرجع الأول في العهد القديم عن يونان (ومعنى الاسم في اللغتين العبرية والسريانية: حمامة)، هو الإشارة القصيرة المذكورة في سفر الملوك الثاني (٢مل ١٤: ٢٣-٢٧) وتتضمن أنه ابن أمتَّاي الذي من جتِّ حافر (القريبة من الناصرة)، وأنه تنبَّأ في عهد يربعام بن يوآش ملك إسرائيل (٧٩٣-٧٥٣ق.م).

أما المرجع الرئيسي عن يونان فهو سِفْره القصير (٤ أصحاحات تضم ٤٨ عددًا) الذي يعرض بأمانة دعوة الله له، كي يُنادي بالتوبة لشعب نينوى الأممي عدو إسرائيل، ولكنه تَهَرَّبَ من هذه المهمة واستقل من يافا سفينة متجهة غربًا في البحر المتوسط إلى ترشيش (قرطاجنة). فكانت العاصفة التي هدَّدت السفينة بالغرق، وما تبع ذلك من إلقاء يونان في البحر ليلتقطه حوت يبقى فيه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يقذفه بعدها إلى البَرِّ، وصاغرًا يمضي لتنفيذ أمر الله مبشِّرًا أهل نينوى الذين استجابوا للدعوة، وصاموا ولبسوا مسوحًا من كبيرهم إلى صغيرهم فصفح الله عنهم.

وجاء في التلمود أن يونان هو ابن أرملة صرفة صيدا (صيدون) الذي أقامه إيليا النبي من الموت (١مل ١٧: ٢١و٢٢).

يونان في العهد الجديد:

رغم التاريخ القصير ليونان في العهد القديم إلَّا أنَّ ما مرَّ به من مواقف، كابتلاع الحوت له، وبقائه في جوفه، أو بشارته لشعب نينوى التي أتت ثمارها إيمانًا وتوبة منسحقة وإنقاذًا من الهلاك، جعلته في قلب أحداث العهد الجديد. فالله قد اختاره ليكون رمزًا للمسيح لينضم إلى مَن تمَّ اختيارهم من آباء العهد القديم ليخدموا هذه الغاية: هابيل، وملكيصادق، وإسحق، ويوسف، وموسى، ويشوع، وغيرهم.

وبينما لم يأتِ ذكر يونان في كُلِّ أسفار العهد الجديد التالية للبشائر الأربع إلَّا أنّ الربّ هو الذي ألقى الضوء على دور يونان، وأن ما اجتازه من اختبار عنيف أو حمله إلى بطن الحوت، هو الآية التي صاغها التدبير الإلهي قبل قرون، حيث تضافر هروب يونان، وثورة العاصفة والحوت العظيم لتأكيد صِدْق إرسالية الرب المخلِّص، فيقول ردًا على مَن طلبوا منه آية: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.» (مت ١٢: ٣٩و٤٠؛ لو ١١: ٢٩و٣٠)؛ إشارة مُسبقة عمَّا سيحدث للربِّ من موتٍ وقيامةٍ بعد نفس المدة.

والربّ عندما قال هذه الكلمات لم يكن يربط بين حدثين وقعا بالفعل، وإنما بين حدثٍ وقع قبل قرون مضت، ويعرفه اليهود ورؤساؤهم، وحدثٍ هو يعرف بعلمه السَّابق أنه سوف يقع فيما بعد. فهو يضع كلماته في الامتحان، وعلى المشكِّكين فقط أن ينتظروا ليروا. ولو لم يكن يعرف الماضي والمستقبل لَمَا التفت إلى حادثة يونان في العهد القديم، ولجرَّدها من أي بُعْد رمزي يتعلَّق بالخلاص. فكما خرج يونان حيًّا من بطن الحوت، ستكون قيامة المسيح بعد أيام القبر الثلاثة، ولياليه الثلاث شهادة على صدق رسالته وأقواله وعلى إتمام نبوَّات العهد القديم فيه. وعلى المقاومين في كل زمان إذا شاءوا الاحتكام إلى الحقِّ والخضوع له، أن يُقارنوا الحدث الرمز القديم بالحقيقة الساطعة التي أشار الربّ إلى أنها ستتم وتمَّت بالفعل وسجَّلتها كلمة الله التي لا تكذب.

ومن ناحية أخرى، فإن موت الربّ وبقاءه في القبر لثلاثة أيام هو شهادة إلهية على صدق حادثة يونان بكل ملابساتها المثيرة، وصدق كلمة الله.

كما ذكر الربّ يونان مرة أخرى من زاوية ثانية هي أن أهل نينوى الذين تابوا بكرازة يونان، سيدينون جيل اليهود الذين عاصروا المسيح ولم يقبلوا دعوته للتوبة والإيمان به كمخلِّص: «رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا!» (مت ١٢: ٤١، لو ١١: ٣٢).

المسيح ويونان:

في ختام كلماته السابقة يشير الربّ إلى أنه إذا كان ليونان دورٌ في الشهادة لصدق رسالته وكرازته وعمله الخلاصي فإنهما ليسا ندَّيْن، لأن المسيح أعظم من يونان بما لا يُقاس «وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا!» (مت١٢: ٤١، لو ١١: ٣٢).

والمسيح أعظم من يونان فالسيِّد أعظم من العبد (يو ١٣: ١٦؛ ١٥: ٢٠)، والمعلم أعظم من التلميذ، والمُرسِل أعظم من الرسول (يو ١٣: ١٦)، وربّ الهيكل أعظم من الهيكل (مت ١٢: ٦)، وباني البيت أعظم من البيت (عب ٣:٣). وإذا كان يونان نبيًّا، فالمسيح هو الربّ من السماء (١كو ١٥: ٤٧).

كما أن المسيح أعظم من يونان من حيث خدمة كل منهما وحياته:

فيونان عُنْصريٌّ متعصِّب لبني جنسه، كارهٌ لتوبة الآخرين من الأمم. وقد أسعده أن الله مزمع أن يُدمِّر نينوى، ويُعاقب أهلها أعداء إسرائيل لإمعانهم في الشرّ. وأزعجه اهتمام الله برجوعهم وتوبتهم، وتجاهَل أمرَ الله لما أمره بالذهاب إليهم وإنذارهم، وبدلًا من ذلك خَطَّطَ «ليهرب من وجه الرب» (يون ١: ٣). ونزل إلى قاع السفينة واجتهد أن ينام «نومًا ثقيلًا» إمعانًا في الهرب من صوت الله في داخله، ناسيًا قول المزمور: «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟» (مز ١٣٩: ٧). وحتى بعد أن مرَّ بالاختبار المرّ بهياج البحر والسقوط في جوف الحوت، وإذعانه لأمر الرب وتوجُّهه إلى أهل نينوى الذين تابوا بمناداته، وبدل أن يفرح بخلاص إخوته يكتب في سفره: «فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (يون ٤: ١-٣). فهو في قِصَرِ نظره وتعصُّبه يُعاتب الله، ويكاد يؤاخذه على حبه ورحمته واتساع قلبه وقدرته على الغفران الذي مِنْ غيره، ما كان للإنسان من مصير غير الهلاك الأبدي.

ولكن المسيح يختلف. فهو الذي أحب – **حتى أعداءه** – إلى المنتهى (يو١٣:١)، ومكتوب عنه أنه لا يُسرُّ بموت الشرِّير بل برجوعه عن طرقه فيحيا (حز ١٨: ٢٣، ٢بط ٣: ٩)، على عكس يونان الذي غمَّه هذا الأمر غمًّا شديدًا، وهو الرَّاعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف (يو١٠:١١)، والبارُّ الَّذي تألم من أجل الأثمة (١بط ٣: ١٨).

وقد التقى الربّ أثناء خدمته بمن لهم نفس توجُّه يونان، ولكنه أكَّد دوماً على إشفاقه وتحنُّنه على بني البشر دون تمييز. فها هما ابنا زبدي يسألانه أن تنزل نار من السماء، فتفني قرية السامريين التي لم تقبله، ولكنه ينتهرهما ويقول لهما: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! ٥٦ لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ» (لو ٩: ٥٢-٥٦؛ ١٩: ١٠).

والمرأة الخاطئة دانها الجميع – الذين لم يكونوا أفضل منها –، وقدَّموها إلى الربِّ كي يُجري حُكم الموت، ولكنه – وهو البار القدوس – أشفق على المرأة قائلًا لها: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا» (يو ٨:١١).

وعندما رأى الربّ المرأة المنحنية ووضع يديه عليها فاستقامت، احتج عليه رئيس المجمع، لأن الربَّ شفاها يوم سبت، فقال الربُّ: «...وَهذِهِ، وَهِيَ ابْنَةُ إِبْرَاهِيمَ، قَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟» (لو١٣:١٦).

وهنا يصدق قول داود: «فَلْنَسْقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ، لأَنَّ مَرَاحِمَهُ كَثِيرَةٌ وَلاَ أَسْقُطُ فِي يَدِ إِنْسَانٍ» (٢صم ٢٤: ١٤). وقد كشف لنا الابن عن محبة الله وشفقته وحنانه واتساع رحمته: « كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ هكَذَا أُعَزِّيكُمْ أَنَا» (إش ٦٦: ١٣)، «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ» (رو ٨: ٣٢)؛ بينما يمتلئ قلب البشر – حتى بعض المتدينين منهم – بالقسوة والكراهية والتعصُّب.

ولقد سعى الربُّ كي يُغيِّر فكر يونان، فأعدَّ يقطينة لتظلِّل عليه، ثم سمح لها أن تيبس في الغد، فانزعج يونان جدًا، فقال له الربّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ ... ١١ أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ» (يون ٤: ١٠و١١). والله يُعلن هنا للكل أنه إذا كان يعتني حتى بالنباتات التي لا تُدرك من أمرها شيئًا، فحَدْبُه واهتمامه بالبشر أعظم من أن يُقاس، وخلاصهم هو الأساس والأصل، بينما العقوبة هي نتيجة رفض الخلاص والحياة مع الله، وهي نفس المعاني التي أكَّدها المسيح بعدما أشار إلى عنايته بعشب الحقل وطيور السماء قائلاً: «فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة.» (لو١٢:٧).

لقد عاقب الله يونان على تعصُّبه وانغلاقه، ويهمنا كمؤمنين بالمسيح أن نعي أنه ليس لنا وحدنا، وإنما هو للعالم كله. فهو المخلِّص الذي مات لأجل الجميع (٢كو ٥: ١٥)، ولا يليق أن نستأثر به، فلا فضل لنا إذ عرفناه. نحن كلنا مدينون لمحبته ودمه النازف وموته وقيامته. والله هو الذي اختارنا فيه قبل تأسيس العالم (أف ١: ٤). كما أن عمله الخلاصي من الكمال والشمول بما يكفل إنقاذ كل البشر من الهلاك، إن أرادوا: «وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا.» (١يو ٢: ٢).

وعلينا أن نثق أننا سنظل دومًا موضع رعاية الله لنا جسدًا ونفسًا وروحًا. إننا اليقطينة التي خلقها وغرسها في الأرض، وتعهَّدها بالعناية كل الحياة، والتي بذل دم ابنه لكي لا تهلك بل تحيا إلى الأبد. فلا نفقد أبدًا رجاءنا في رحمة الله وتحنُّنه وقدرته على الغفران: « إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.» (١يو ١:٩).

وليكن صومنا مع أهل نينوى تأكيدًا لإيماننا بدوام محبة الله لنا: «وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ .» (إر ٣١: ٣)، وأننا لا نتركَّى في خلاصنا غير دم ابنه ورحمته التي وسعت كل قُصُورنا ونقصنا بغير حدود.

والسارافيم واقفون حوله

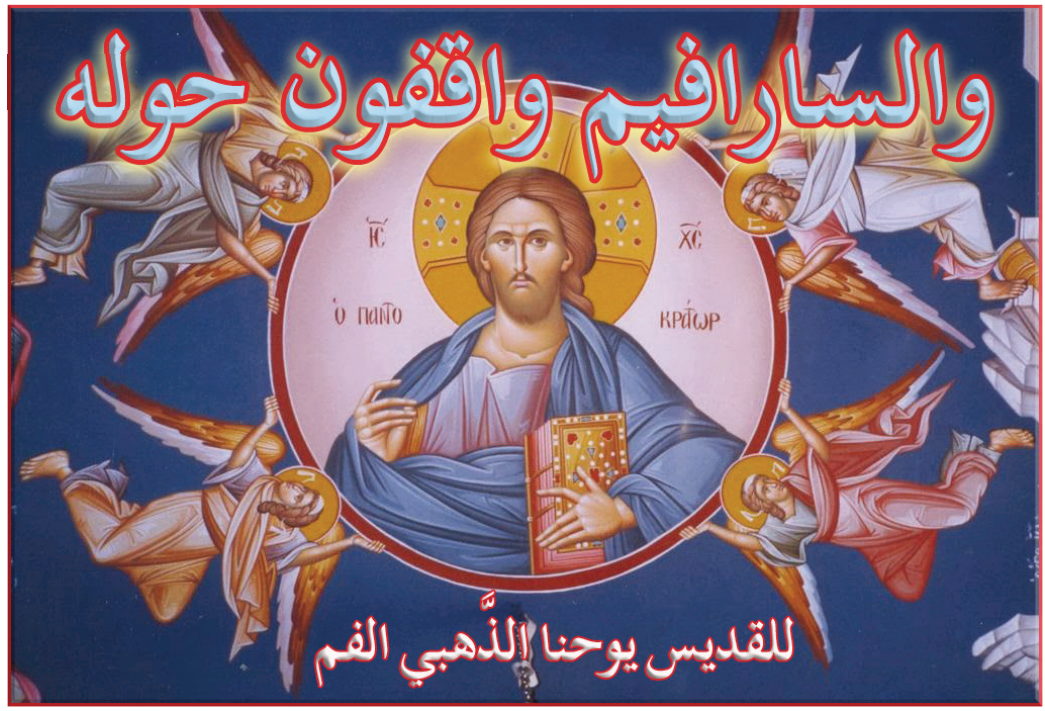

«والسَّرَافِيم وَاقِفُونَ حَوْلَهُ» (إش ٦: ٢)

قَبْلَ الكَلامِ عَنْ كَرَامَةِ طَبِيعَتِهِم فَإِنَّه يُعَلِّمُنَا مِنْ خِلالِ اقْتِرَابِهِم نَحْوَ عَرْشِ اللهِ، لأنَّه لَمْ يَقُلْ أَوَّلًا مَنْ هُمُ السَّرَافِيمُ بَلْ يَذْكُرُ المَكَانَ الَّذِي يَقِفُونَ فِيهِ، لأنَّ هٰذِهِ المَكَانَةَ أَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ. كَيْفَ؟ لأنَّ كَيْنُونَتَهُم سَرَافِيمَ، لا تُوَضِّحُ أَنَّهُم قُوَاتٌ عَظِيمَةٌ كَمِثْلِ كَوْنِهِم يَقِفُونَ بِجِوَارِ العَرْشِ المُلُوكِيِّ.

وبِالمِثْلِ فَنَحْنُ أَيضًا، نَعْتَقِدُ أنَّ هؤُلَاءِ الحُرَّاسَ مُبَجَّلُونَ، نَرَاهُم يَمُرُّونَ وَهُمْ مُمْتَطُونَ الخَيْلَ فِي مَوكِبٍ مُؤَلَّفٍ مِنْ زَوْجَيْنِ بِالقُرْبِ مِنَ المَرْكَبَةِ المُلُوكِيَّةِ، هٰكَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلقُوَّاتِ غَيْرِ الجَسَدِيَّةِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ أَكْثَرُ جَلَالًا، كُلَّمَا اقْتَرَبُوا مِنَ العَرْشِ. لِذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ قَدْ تَخَطَّى الحَدِيثَ عَنْ طَبِيعَتِهِم الخَاصَّةِ، وحَدَّثَنَا أَوَّلًا عَنْ مَكَانِهِم العَظِيمِ، مُقِرًّا بِأَنَّ هٰذَا يُمَثِّلُ أَعْظَمَ زِينَةٍ لَهُم لأنَّهَا تُشَكِّلُ بَهَاءَهُم، ولأنَّ هٰذَا يَعْنِي لَهُم المَجْدَ والكَرَامَةَ، وكُلَّ أَمَانٍ أَنْ يَظْهَرُوا حَوْلَ ذَاكَ العَرْشِ.

وهٰذَا مَا يُمْكِنُ أَنْ نَرَاهُ مَعَ المَلَائِكَةِ، لأنَّ أُولَئِكَ حِينَ أَرَادَ المَسِيحُ أَنْ يُظْهِرَهُم بِأَنَّهُم عُظَمَاءُ، لَمْ يَقُلْ عَنْهُم فَقَطْ إِنَّهُم مَلَائِكَةٌ وصَمَتَ، بَلْ قَالَ عَنْهُم: «إِن مَلَائِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.»، لأنَّ كَوْنَهُم يَنْظُرُونَ وَجْهَ الآبِ لَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ كَوْنِهِم مَلَائِكَةً، وهٰكَذَا الحَالُ مَعَ السَّرَافِيمِ، فَالوُقُوفُ بِجِوَارِ العَرْشِ وإِنْ يَكُنْ هٰذَا العَرْشُ فِي وَسَطِهِم أَعْظَمَ مِنْ كَوْنِهِم سَرَافِيمَ.

ولٰكِنَّ العَظَمَةَ هِيَ لَكَ مُمْكِنَةٌ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنَالَهَا، لأنَّ اللهَ لَيْسَ فِي وَسَطِ السَّرَافِيمِ، بِلِ فِينَا نَحْنُ أَنْفُسِنَا، إِنْ أَرَدْنَا. إِذْ يَقُولُ: «لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ»، وأَيضًا: «قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ.» لِذَلِكَ فَبُولُسُ يَصْرُخُ: « فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ.»، أَتَرَى كَيْفَ أَقَمْنَا مَعَ السَّرَافِيمِ، مُقَرَّبًا إِيَانَا مِنَ العَرْشِ المُلُوكِيِّ؟

وبَعدَ ذٰلِكَ يَقُولُ: « لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ» فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَدُلُّ تِلْكَ الأَجْنِحَةُ السِّتَّةُ؟ إِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الطَّبَائِعَ سَامِيَةٌ وطَائِرَةٌ وخَفِيفَةٌ، وَسَرِيعَةٌ. لأجْلِ ذٰلِكَ فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ يَنْزِلُ كَمَا لَوْ كَانَ لَهُ أَجْنِحَةٌ، لَيْسَ لأَنَّهُ يُوجَدُ أَجْنِحَةٌ لِتِلْكَ القُوَّةِ غَيْرِ المُتَجَسِّدَةِ ، بَلْ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّه نَزَلَ مِنْ تِلْكَ الأَمَاكِنِ العُلْوِيَّةِ جِدًّا، ووَصَلَ إِلَى الأَرْضِ تَارِكًا إِقَامَتَهُ فِي السَّمَاءِ. ولٰكِنْ مَا هِيَ غَايَتُهُ فِي أَنْ يُوَضِّحَ لَنَا عَدَدَ الأَجْنِحَةِ؟ وهٰذَا لا يَحْتَاجُ تَفْسِيرِيَ الخَاصَ، لأنَّ الحَدِيثَ يُفَسِّرُ نَفْسَهُ شَارِحًا لَنَا فَائِدَتَهَا، لأَنَّهُ يَقُولُ: «بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ» كَأَنَّهُمَا سِتَارَتَانِ تُغَطِّيَانِ وَجْهَهُ، لأَنَّهُم (السَّرافيم) لَا يَتَحَمَّلُونَ اللَّمَعَانَ المُنْبَعِثَ مِنْ ذٰلِكَ المَجْدِ. «وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ»، تَحْتَ تَأْثِيرِ نَفْسِ الإِنْبِهَارِ، لأَنَّنَا أَنْفُسَنَا عَادَةً عِنْدَمَا يُسَلَّطُ عَلَيْنَا جِسْمٌ بَاهِرٌ، فَإِنَّنَا نَنْكَمِشُ ونُخْفِي كُلَّ مَكَانٍ فِي جَسَدِنَا. ولِمَاذَا أَتَحَدَّثُ فَقَطْ عَنِ الجَسَدِ، طَالَمَا أَنَّ النَّفْسَ ذَاتَهَا عِنْدَمَا يَحْدُثُ لَهَا ذٰلِكَ الأَمْرُ فِي تَجَلِّيَاتِهَا السَّامِيَةِ، تَجْذِبُ كُلَّ طَاقَاتِهَا ثُمَّ تَجْمَعُ ذَاتَهَا ضَاغِطَةً إِيَّاهَا بِعُمْقٍ فِي الجَسَدِ،كَمَا لَوْ كَانَ هٰذَا الجَسَدُ مَلْبَسًا لَهَا؟ وَحِينَ يَسْمَعُ أَحَدٌ الانْدِهَاشَ والانْبِهَارَ لَا يَظُنُّ أَنَّنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ صِرَاعٍ مُقَزِّزٍ لِلنَّفْسِ لأَنَّهُ مَعَ هٰذَا الانْدِهَاشِ تُوجَدُ نَشْوَةٌ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ لَا تُحْتَمَلُ مِنْ عَظَمَتِهَا. «وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُون» وهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُم دَائِمًا يَشْتَهُونَ العُلْوِيَّاتِ، وَلَا يَنْظُرُونَ لأَسْفَلَ أَبَدًا، «وَهٰذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ»، وهٰذَا الصُّرَاخُ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ لَنَا عَلَى تَعَجُّبِهِم، لأَنَّهُم لَا يُسَبِّحُونَ فَقَطْ بَلْ يَصْرُخُونَ بِشِدَّةٍ، وَلَا يَصْرُخُونَ فَقَطْ بَلِ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ بِلَا انْقِطَاعٍ.

لِأَنَّ الأَجْسَادَ البَرَّاقَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُنِيرَةً بِشَكْلٍ عَظِيمٍ، حِينَئِذٍ فَإِنَّهَا عَادَةً مَا تُثِيرُ ذُهُولَنَا لَمَّا نُشَاهِدُهَا لِلْمَرَّةِ الأُولَى بِعُيُونِنَا، ولٰكِنْ إِنْ وَاصَلْنَا التَّطَلُّعَ فِيهَا أَكْثَرَ، فَبِالتَّعَوُّدِ سَوْفَ يَنْتَهِي انْدِهَاشُنَا، لأَنَّ عُيُونَنَا قَدِ اعْتَادَتْ عَلَى تِلْكَ الأَجْسَادِ.

لِذَلِكَ فَعِنْدَمَا نَرَى أَيْقُونَةً مُلُوكِيَّةً، وَقَدْ تَمَّ تَكْرِيسُهَا (تَجْهِيزُهَا) حَدِيثًا وَهِيَ تَزْهُو بِأَلْوَانِهَا، فَهِيَ تُثِيرُ إِعْجَابَنَا، ولٰكِنْ بَعْدَ يَوْمٍ ويَوْمَيْنِ يَزُولُ إِعْجَابُنَا هٰذَا. ولٰكِنْ لِمَاذَا أَتَحَدَّثُ عَنْ أَيْقُونَةٍ مُلُوكِيَّةٍ، طَالَمَا أَنَّ الأَمْرَ ذَاتَهُ يَحْدُثُ لَنَا مَعَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ جِسْمٌ أَكْثَرُ لَمَعَانًا مِنْهَا؟ وهٰكَذَا فَأَيُّ جَسَدٍ بِسَبَبِ الاعْتِيَادِ (عَلَى النَّظَرِ) إِلَيْهِ يَذْهَبُ الإِعْجَابُ بِهِ. غَيْرَ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذٰلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَجْدِ اللهِ، بَلْ عَلَى العَكْسِ تَمَامًا، لأَنَّهُ كُلَّمَا وَاصَلَتْ تِلْكَ القُوَّاتُ (السَّمَائِيَّةُ) النَّظَرَ إِلَى ذٰلِكَ المَجْدِ ازْدَادَ انْبِهَارُهَا وازْدَادَ

تَعَجُّبُهَا، لِذلِكَ فَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُم يَرَونَ ذاكَ المَجْدَ مُنْذُ خِلْقَتِهِمْ حَتَّى الآنَ، فَلَا يَتَوَقَّفُونَ عَنِ الصُّرَاخِ بِانْبِهَارٍ، لِأَنَّ مَا نُعَانِي مِنْهُ وَيَحْدُثُ لَنَا فِي بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، عِنْدَمَا يَأْتِي عَلَيْنَا ضِيَاءٌ سَاطِعٌ، يَحْدُثُ لِتِلْكَ القُوَّاتِ القَائِمَةِ قُدَّامَهُ بِاسْتِمْرَارٍ وبِلَا انْقِطَاعٍ، وبِالرَّغْمِ مِنْ ذلِكَ يُظْهِرُونَ لَذَّةً مَا وَتَعَجُّبًا. لِأَنَّهُم لَيْسُوا فَقَطْ يَصْرُخُونَ، بَلْ يَفْعَلُوْنَ هَذَا فِيْمَا بَيْنَهُم، وَهٰذِهِ عَلَامَةٌ عَلَى انْدِهَاشِهِم الدَّائِمِ، وَهَذَا نَفْسُهُ مَا يَحْدُثُ لَنَا عِنْدَمَا نَسْمَعُ رَعْدًا أو زِلْزَالًا يَهُزُّ الأَرْضَ، لَيْسَ فَقَطْ نَقْفِزُ ونَصْرُخُ، بَلْ نُسْرِعُ بِالهَرَبِ كُلٌّ إلى بَيْتِهِ، وَهٰذَا مَا يَفْعَلُهُ السَّرَافِيمُ، لِذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ يَصْرُخُ نَحْوَ الآخَرِ قَائِلًا: « قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ».

هَلْ تُدْرِكُونَ أَيَّ صَوتٍ هٰذَا يَا تُرَى؟

هَلْ يَا تُرَى هُوَ صَوْتٌ يَخُصُّنَا أَمْ صَوْتُ السَّرَافِيمِ؟

صَوْتُنَا وَصَوْتُ السَّرَافِيمِ هُوَ لِتَسْبِيحِ المَسِيحِ الَّذِي أَزَالَ الحَاجِزَ المُتَوَسِّطَ، وأَحَلَّ السَّلَامَ بَيْنَ السَّمَاوِيَّاتِ والأَرْضِيَّاتِ، وتَسْبِيحٍ لِذَاكَ الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ واحِدًا.

لِأَنَّهُ فِي السَّابِقِ كَانَتْ هٰذِهِ التَّسْبِحَةُ فَقَطْ تُرَتَّلُ فِي السَّمَاوَاتِ، ولَكِنْ عِنْدَمَا قَبِلَ السَّيِّدُ أَنْ يَأْتِي إِلَى الأَرْضِ، قَدْ نَزَلَتْ هٰذِهِ التَّرْتِيلَةُ أَيْضًا إِلَيْنَا، لِذلِكَ رَئِيسُ الكَهَنَةِ العَظِيمِ هٰذَا عِنْدَمَا يَقِفُ عَلَى المَائِدَةِ المُقَدَّسَةِ (المَذْبَحِ) مُقَدِّمًا العِبَادَةَ العَقْلِيَّةَ، والذَّبِيحَةَ غَيْرَ الدَّمَوِيَّةِ، لا يَحُثُّنَا مُبَاشَرَةً عَلَى هٰذَا الهُتَافِ المُبْهِجِ، بَلْ أَوَّلًا يُشِيرُ إِلَى الشَّارُوبِيمِ ثُمَّ يَذْكُرُ السَّرَافِيمَ، وبَعْدَ ذلِكَ يَحُثُّ الجَمِيعَ عَلَى رَفْعِ أَصْوَاتِهِم الجَهُورِيَّةِ، يَصْرِفُونَ أَذْهَانَنَا عَنْ كُلِّ مَا هُوَ أَرْضِيٌّ بِتِذْكَارِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُرَتِّلُونَ مَعًا. وَكَأَنَّهُم يُنَادُونَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ فِينَا، قَائِلِينَ مَعَ السَّرَافِيمِ:

رَتِّلْ مَعَ السَّرَافِيمِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ، وَمَعَهُمُ ٱفْتَحْ جَنَاحَيْكَ وَحَلِّقْ مَعَهُمْ حَوْلَ العَرْشِ المُلُوكِيِّ.

ولٰكِنْ يَا لَهُ مِنْ عَجَبٍ أَنْ تَقِفَ بِجِوارِ السَّرَافِيمِ، عِنْدَمَا لا يَجْرُؤُ السَّرَافِيمُ أَنْ يَمَسُّوا هٰذِهِ (العَطَايَا)، الَّتِي قَدْ أَعْطَاهَا إِيَّاكَ اللهُ بِسَخَاءٍ.

«فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ»

ذَاكَ المَذْبَحُ (السَّمَاوِيُّ) هُوَ نَمُوذَجٌ وَمِثَالٌ لِهٰذَا المَذْبَحِ (فِي الكَنِيسَةِ)، وتِلْكَ النَّارُ هِيَ مِثَالٌ لِهٰذِهِ النَّارِ الرُّوحِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ السَّرَافِيمَ لَمْ يَجْرُؤُوا أَنْ يَمْسِكُوها بِأَيْدِيهِم بَلْ بِمِلْقَطٍ، بَيْنَمَا أَنْتَ تَمْسِكُهَا بِيَدِكَ، فَإِنْ كُنْتَ تَبْحَثُ فِي قِيمَةِ العَطَايَا الحَاضِرَةِ فَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ جَمْرَةِ السَّرَافِيمِ، ولٰكِنْ إِنْ تَأَمَّلْتَ فِي مَحَبَّةِ سَيِّدِكَ لِلْبَشَرِ، ونِعْمَةِ العَطَايَا الحَاضِرَةِ فَلَنْ تَخْجَلَ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ سَيِّدُكَ! إِلَى عَالَمِنَا الفَانِي.

الميلادُ هوَ فاتحةُ السِّرِّ الفِصْحِيِّ للقديسِ غريغوريوسَ النيصِيِّ

لسنا هنا في معرض المدائح الفِصْحِيَّة، فالفصح هو بالأحرى آخر أعمال التدبير الإلهيّ، وهل من نهاية ليس لها بداية؟ فما هو الوقت الأَسبقُ؟ إنه بلا شكّ، ذاك الذي يفتتح نظام الآلام.

هكذا تدخُلُ أُعجوبة الفصح، نوعًا ما، في مديح الميلاد. أتذكرونَ لي الحسنات التي يرويها الإنجيل والعجائب والأَشفية وتكثيرَ الخبز وإقامة الموتى من القبور؟ وتحويلَ الماء إلى الخمر، وطردَ الشياطين والتغلُّبَ على عدّة أمراض، وإعادة الصحة وقفْزَ العُرج، وإعادة البَصَر بواسطة الطين؟ والتعاليمَ الإلهيَّة والأوامر والأمثال، وتعليمَ أُصول الحقائق السَّمِيَّا؟ كل هذا من نِعَم هذا العيد، فهو الذي يُدشِّنُ الهبات العجيبة التي تلي.

فلنفرَحْ إذن ونتهلَّل في هذا اليوم؛ لا نخشينَّ المعيِّرين ولا نَفْشَلَنَّ، كما يَفرِضُ علينا النبي (مزمور ٤٣: ١٧) أمام سُخريَةِ الكافرين الذين يهزأُون من تدبير الله، ويَرونَ أنه لا يليقُ بالله أن يتجسَّدَ في الطبيعة البشرية فيمتزجَ بالجسد في المولد، عندما يجهلونَ صريحًا سرَّ هذا التدبير، والوسائل التي استعملها الله بحكمته، لأجل خلاصِنا.

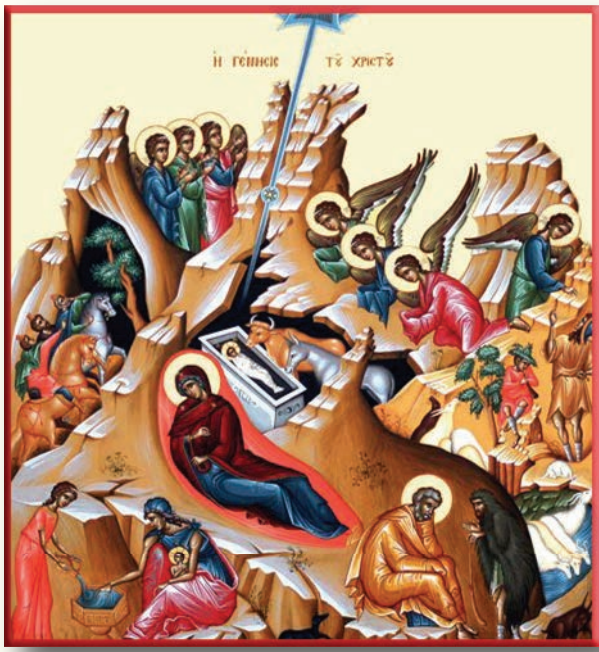

«ومن منكم وهو يريد أن يبني برجًا، لا يجلس أولًا ويحسب النفقة.» (لو١٤: ٢٨)

مَا مِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبِ ٱلْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِٱلشَّيءِ فَٱنْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ ٱلْخُرُوجُ بَعْدَ ٱلدُّخُولِ

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثامن – (تتمة)

إنَّ الألم ينبت في كُلّ مكان، ويمدّ أغصانه إلى جميع الأجيال، وإلى جميع الطبقات الاجتماعية وكلّ الأعمار. هو أيضًا مرحلة المسيرة البطولية من أجل الفوز بالخلاص ما دام المسيح نفسه قد مَرَّ في طريق الجلجلة الرهيب.

لقد وجد هناك، عند هؤلاء الفقراء، أولاد صيادي تلك الجزيرة البطلة، أرضٌ جيِّدة فزَرَع فيها – إلى جانب الحروف الأبجديّة – الحقائق الكبرى للإيمان المقدّس، وأشعل شُعلة الأرثوذكسيّة. وكثيرًا ما كان يتذكّر بتأثر كبير مثال قزما الأيتولي، هذا المُحسِن الكبير للشعب. لم تكن الكنيسة قد طوّبته بعدُ، إلّا أنه حتمًا في السماء، يُشرق وجهه الرسولي كالنجم بقرب صاحب العرش المقدّس، الذي يفرح بتسابيح الملائكة والقديسين. لقد رَوَى بدمه الأرض اليونانية المستعبدة، وحقّق له السيّد الربّ النبوءة التي كان يتنبأ بها أمام انتظار الجميع: بأن اليونانيين سيتحرّرون. وكثيرًا ما صَلّى نكتاريوس في الأوقات الصعبة. وطلب مساعدة هذا القديس قائلًا: «يا أَبَتِ قزما، يا مَن استشهد ببطولةٍ من أجل هذ الوطن الأليم (الكثير الألم والمعاناة)، واكتَشَفَ بصفاء ذهنه حقيقتين أساسيّتين: أولهما أهميّة المدرسة والتنشئة الضرورية على دراسة الكتاب المقدّس؛ وثانيهما خطر استعباد الأمة الروحي، تحت نير الإفرنج (**كانت كلمة الإفرنج تعني الأوروبيين الغربيين من فرنسيين وألمان وإيطاليين**). كان الأتراك بسيوفهم المدمّاة ومجازرهم، أفضل من **دبلوماسية الإفرنج، هؤلاء الأشقّاء ذوي الرقاب القاسية الذين يدوسون الأرثوذكسيّة برئيسهم البابا، وادّعائِهم بالتصَدُّر، ودعايتهم الماكرة.**

كُل يوم تقريبًا في ليتي، وفي المدرسة حيث كان يُعلِّم النفوس الصغيرة الجاهلة، كان يتذكّر الأب قزما؛ ويصلي إليه لكي يَتشفَّعَ أمام الربّ من أجل تقدُّمِهِ الشخصي وعمله لخير هذا الشعب. طبعًا لم يكن ذا أهمية، وليس باستطاعته مقارنة نفسه مع قزما. فهو لم يكن سوى مُدَرِّس بسيط ومسكين.

لكنه الآن يتذكَّر أيضًا حادثة حصلت لوالدِهِ وشقيقه في ذلك الوقت في عرض البحر. كان قد خرج الثلاثة معًا في زورقٍ خاص

بالصيَّادين، باتجاه الشَمال نحو ميتيليني (ليسفوس). فَهَبَّت رياحٌ عاتية وهاجت أمواج البحر. وكان نكتاريوس مستلقيًا في المقدمة يغطّ في النوم. وفجأة صدمته موجةٌ قوية كادت أن تلقي به في البحر. فاستفاق ووجد شراع المركب يتمزّق إلى جزأين، والأمواج تتلاعب بالمركب يمينًا وشمالًا بعد أن فقد اتجاهه. بينما وقف شقيقه ووالده شاحبين ينتظران الموت. فَهَبَّ نكتاريوس من مكانه بسرعة البَرقِ، ورسم إشارة الصليب على وجهه ثلاث مرّات، ونزع حزامه وربط جزأي الشراع ربطًا سريعًا. فاستعاد الزورق توازنه، بينما كان الاثنان ينظران إليه بذهولٍ وقد ملأهما الإعجاب.

وبعودة الجميع إلى البيت، سمع والده يقصّ الحدَث لوالدته، ويستنتج بقلبه البسيط أنّ الصبيّ سيصبح يومًا قدِّيسًا:

– استمعي إِلَيَّ جَيِّدًا يا بالو، إن ابننا أنستاز سيصبح يومًا قديسًا.

وقفز نكتاريوس فجأة، ووقف ازاء والده مقاطعًا إيّاه بقوله:

– توَقَّف يا أَبي، ماذا تقول؟ توقف بحقّ السماء! أنا، قدِّيس؟ أنا الخاطىء، الخالي من لباس العُرس، غير المستحقّ، المثقل بالخطايا، والمهمِل ؟.

وللحظة قصيرة، التقت النظرتان: عينا الأب المجاهد الكثير الأولاد، تنظران بصمت، في نوع من فضيلة وديّة، ونكتاريوس يسمعه يتمتم بصوتٍ مرتجف:

– يا بني، يا بني ...

ٱلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَحْمَقُ وَفَاجِرٌ. فَٱلْعَاقِلُ، ٱلدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَٱلْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَٱلرَّأْيُ ٱلْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ. إِنْ سُئِلَ أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ ٱلْعِلْمَ وَعَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى. وَأَمَّا ٱلْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهِلَ. وَإِنِ ٱسْتُنْزِلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ. فَإِنْ حُمِلَ عَلَى ٱلْقَبِيحِ حُمِلَ.. وَأَمَّا ٱلْفَاجِرُ فَإِنِ ٱئْتَمَنْتَهُ خَانَكَ. وَإِنْ حَدَّثْتَهُ شَانَكَ. وَإِنْ وَثِقْتَ بِهِ لَمْ يَرْعَكَ. وَإِنْ ٱسْتُكْتِمَ لَمْ يَكْتُمْ. وَإِنْ عُلِّمَ لَمْ يَعْلَمْ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُقِّهَ لَمْ يَفْقَهْ. (الوهل:الفزع والهلع)

الأرثوذكسيّة (٥٣)

قانون ايمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وأيضًا يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات

الپاروسيّا (المجيء الثاني):

يستخدم العهد الجديد باللغة اليونانيّة ثلاث كلمات ليصف بها المجيء الثاني للمسيح. الأولَى كلمة: «پاروسيَّا » Parousia والتي تعني حتَّى في اللغة اليونانية الحديثة: «وجود انسان بشخصه Persence of someone in person ». وبهذا فإنَّ كلمة پاروسيّا عندما تُعبِّر عن عودة المسيح، فإنَّها تُوصِّل لنا فكرة مجيء المسيح بشخصه في نهاية الزمن.

والكلمة اليونانيَّة الثانية المُستعملة لمجيء المسيح هي كلمة: «إبيفانيا epiphania» والتي تعني حرفيًّا ظهور شيء أو شخص، مثل ظهور نجم في السَّماء. إنَّه موجود باستمرار طول اليوم لكنه مَخْفِيٌّ عن النظر وفجأة يَظهر في الليل.

أمَّا الكلمة الثالثة اليونانيَّة التي استعملت فهي: «أبوكالبسيس apokalypsis » وهذه تعني في اللغة اليونانيَّة الحديثة: «أن تُظهِر، أن تُعلِن، أن تُجلِي، أن تكتشف شيئًا كان مخفيًّا». نحنُ نعلم أنّ المسيح معنا باستمرار، ولكن الآن نراه بالإيمان، أمَّا في آخِر الزمان، عندما يُرفَع البُرقُع ويَظهَر بِشَخصِه، فإنّنا سوف نراه ليسَ بالإيمان بل بالعيان.

بين المدرسة والجامعة:

يمكننا أن نقارن مجيء المسيح بالفرق بين الحياة في المدرسة والحياة في الجامعة.

يعيش الطَلَبة في المدرسة تحت نظامٍ صارم، غير مسموح لهم بالتغيُّب عن الحِصَص، كذلك يلزمهم التواجد في المواعيد المحدّدة، كما يلزمهم قضَاء ساعات مُعيَّنة مُحدَّدة يوميًّا في الدراسة، ولا يمكنهم التغيُّب عن المدرسة إلّا بتصريحٍ خاص وإلى أوقاتٍ محدَّدة. أمَّا بالنسبة للحياة في الجامعة فالوضع مختلف تمامًا: لا أحد يُراجع حضور الطلبة أو غيابهم، لا توجَد ساعات محدَّدة للدراسة، الطالب يحضُر أو يتغيَّب كيفما يشاء لا حدٌ لعدد الساعات التي يقضيها بالجامعة، ولكن يأتي طبعًا ميعاد الامتحان الذي يبيِّن كيف استفاد الطالب من وقته. ولكن أثناء الدراسة، فالطالب لحدٍّ ما يتصرّف بحسب ما يروق له.

عندما خلقَ اللهُ الإنسان، ومنحه قوّة حريّة الاختيار، فإنَّه قد نظَّم أن تكون الحياة بحسب نظام الدراسة الجامعيَّةِ. إنّنا أُعطِينَا حريَّة عظيمة جدًّا، يمكننا أن نؤجّل بل وأيضًا أن نرفض ما كُلِّفنا به في الحياة، يمكننا أن نختار أن نعيش بالغريزة أو بالدافع، أمّا الله فقد عيَّنَ وقتًا للدينونة، وقتًا للمراجعة والمُحَاسَبةِ. أحدَ أهداف الدينونة هو محاسبتنا: **كيف استخدمنا الحريّة، الوقت، الوزنات، والبَركات الأخرى التي مَنَحنَا إيَّاها الله**. ومصيرنا الأبدي يتوقَّف على نتائج هذا الفحص والامتحان.

التباين بين المجيء الأول والمجيء الثاني:

تنبَّأ العهد القديم عن مجيء يسوع الأوَّل بالتفصيل. وقَبْلَ ميلاد يسوع بمئات السنين كَشَفَ الأنبياء وأعلنوا أنَّه:

سوف يولَد في بيت لحم، سوف يهرب إلى أرض مصرَ، سوف يشفي المرضَى، أنَّ شعبه الخاص سوف يرفضه، أَنَّ صَديقًا سوف يسلِّمه ويبيعه بثلاثين من الفضة، أنَّه سوفَ يُصلَب مع الخَطأة، وسوف يُطعَن في جنبه، وسوف يقوم من بين الأموات، وسوفَ يصعد إلى السموات.

مِن قَبْلِ أن يولد يسوع بمئات من السنين، تنبَّأ عن كُل هذه الأشياء، أمَّا العهد الجديد، وبما في ذلك يسوع نفسه، فيُخبرنا بأنَّه سوفَ يأتي مرَّةً ثانية! ولكن ما أوسع الخلاف بين المجيء الأوّل والمجيء الثاني! عند مجيئه الأوّل، فإنَّ شعبًا قليلًا جدًّا تعرَّفَ عليه، أمَّا في مجيئه الثاني فسوف تراه كل عين، وكل شخص سوف يتعرَّف عليه. عند مجيئه الأوّل رُذِلَ وَرُفِضَ من الناس، أمَّا في مجيئه الثاني، فإنَّ كُلّ ركبة سوف تجثو له. عند مجيئه الأوَّل سَبَّه الناس وشتموه بألسنتهم، أمّا في مجيئه الثاني فسوف يعترف كل لسان أنّه ربّ. عند مجيئه الأوَّل، تبعه فقط اثنا عشر من المتواضعين، وأمَّا في مجيئه الثاني فإنَّ أجناد الملائكة سوف يحيطون به. عندما أَتَى أوَّلًا وُلِدَ كَطِفلٍ لا قُدرة له، أمَّا في مجيئه الثاني فسوف يأتي مثل ملك الملوك وربّ الأرباب.

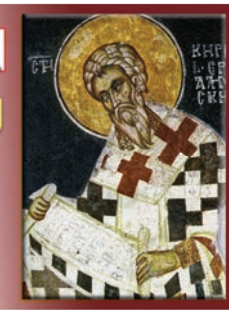

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثالثة عشر في العماد

«... وَصُلِبَ وَقُبِرَ»

«ربُّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمَن ظهرت يَدُ الربِّ؟
... كنعجة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزّه
هكذا فتح فاه. في ذلّه أُنكِرَ عليه حقّه. تُرى من يصف ذريته؟
لأنّ حياته أُزيلَت عن الأرض ...» (أشعيا ٥٣: ١-٨).

٢٤- احوال الآلام الجويّة:

فالمسيح إذن صُلِبَ لِأجلنا، هو الذي حُوكِمَ ليلًا، وكان الطقس باردًا، لذلك أضرموا نارًا (يو١٨:١٨). وصُلِبَ في الساعة الثالثة (مر ٢٥:١٥). «ومن الساعة السادسة حتَّى الساعة التاسعة طَبَّقَ الظلامُ الأرض كلّها» (متَّى ٤٥:٢٧). ومن الساعة التاسعة عاد النور من جديد. هل ورد شيء عن ذلك في الأنبياء؟ فلنبحث عنه. يقول زكريا النبيّ: «وفي ذلك اليوم لا يكونُ نورٌ بل قرٌّ وجليد» (بسبب البرد أخذ بطرس يصطلي) (يو١٨:١٨) ، «ويكون يومٌ فريد وهو معلومٌ عند الربّ». (كيف؟ ألَا يعرف الأيام الأخرى؟) هناك أيام أُخرَى، ولكن يوم آلام الربّ «وهو اليوم الذي صنعه الربّ» (مز ٢٤:١١٧). «وهذا اليوم معلومٌ عند الربّ ليس بنهار ولا ليل». ماذا يقصد النبيّ بهذا اللغز؟ - هذا اليوم ليس بنهار ولا ليل ، فكيف نسميه إذن؟ يُعطينا الإنجيل تفسير الحَدث: لم يكن نهارًا لأنّ الشمس لم تَسْطَعْ كعادتها من المشرق إلى المغرب، إذ ساد الظلام على الأرض كلّها في وَضَح النهار، من الساعة السادسة حتَّى الساعة التاسعة، كأنّما الظلام اعترض سبيل النهار ، «وسمَّى الله الظلام ليلًا» (تك ١:٥). ولذلك لم يكن لا نهارٌ ولا ليلٌ، لأنّه لم يكن كلّه نورًا حتَّى يُسمَّى نهارًا، ولا كلّه ظلامًا حتَّى يُسمَّى ليلًا. فتنبَّأ النبيّ بذلك، لأنه بعد أن أكَّدَ «ليس بنهار ولا ليل»، أضاف: «بل يكون وقت المساء نور» (زكريا ١٤:٦-٧). هل ترَى دقّة الأنبياء؟ هل ترَى صحّة النبوءات؟

٢٥- ساعة كسوف الشمس:

هل تريد أن تعرف بوضوح في أيّة ساعة كُسِفَت الشمس؟ هل في الساعة الخامسة أو الثامنة أو العاشرة؟ قُل بوضوح، أيُّها النبيّ، لليهود الكَفَرة متى كُسِفَت الشمس؟ يقول النبي عاموس: «ويكون في ذلك اليوم، يقول السيّد الربّ: «إنّي أُغَيِّب الشمس عند الظهيرة («من الساعة السادسة كان ظلام») «وأُجلِب الظلمة على الأرض في النهار الضّاحي» (عاموس ٩:٨). في أيّ وقت، أيُّها النبيّ؟ وفي أيّ يوم؟ - «وَأُحَوِّل أعيادكم نوحًا» (عاموس ١٠:٨). وقد تحقّق ذلك اليوم أيام الفطير في عيد الفصح. واستطرد النبيّ يقول: «وأجعلها كمناحة على وحيد وأواخرها كيوم مرّ» (عاموس ١٠:٨). وفعلًا يوم عيد الفطير كانت نساؤهم «يضربن الصدور ويَنُحنَ» (لو ٢٧:٢٣). واختبأ الرُّسل وكانوا في حزنٍ وخوفٍ. فَاعْجَبْ إذن لتلك النبوءة.

٢٦- النبوءة الخاصة بثياب يسوع:

وقد يقول آخر: أَعطِني علامة أُخرَى. ما هي العلامة الأكيدة الأخرى التي تحقَّقت؟ صُلِبَ يسوع، ولم يَكُن سوى ثوب واحد ورداء واحد. فالثوب اقتسمه الجنود فيما بينهم بعد أن قسموه أربع قِطَع. أمَّا الرِّداء فلم يمزّقوه لئلَّا يفقد نفعه، فاقترعوا عليه. هل هذا مكتوب أيضًا؟ إنّ المرتِّمين الذين يواظبون على الحضور إلى الكنيسة، هؤلاء الذين يقلّدون الأجواق الملائكيّة ويُسَبِّحون الله بلا انقطاع. هم الذين استحقوا أن يرنّموا على هذه الجلجلة: «اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى ردائي اقترعوا» (مز ١٩:٢١). هذا الاقتراع ما فعله الجنود.

٢٧- الرداء القرمزي:

كذلك عندما حَكَمَ بيلاطس عليه بالصَّلب، كان يرتدي الأرجوان، إذ كانوا قد «ألبسوه رداء قرمزيًّا» (متَّى ٢٨:٢٧). فهل كان هذا مكتوبًا؟ يقول اشعيا: «مَن ذا الآتي من أدوم بثياب مُضَرَّجة من بُصرة»؟ (من ذا الذي يرتدي ثوبًا أُرجوانيًّا على سبيل السخرية؟) لأنّ «بُصرة» **في العبرية تحمل هذا المعنى**. «ما بال لباسك أحمر وثيابك كدائس المعصرة» فيجيب: «بسطتُ يديّ النهار كلّه نحو شعبٍ عاصٍ يسلكون طريقًا غير صالح» (أشعيا ٦٣:١-٢ ؛ ٦٥:٢).

٢٨- خطايا البشرية تُصلَب مع يَدي يسوع:

بسَطَ يديه على الصليب ليحضن أقاصي الأرض، لأن هذه الجلجلة هي في وسط الأرض. وهذه الكلمة ليست من عندي، بل من النبي القائل: «لقد صنع الخلاص في وسط الأرض» (مز٧٣: ١٢). بسط يديه البشريّتين ذاك الذي ثَبَّتَ السماء بيديه الروحيّتين، وَسُمِّرَتَا بالمسامير لكي تحمل طبيعته البشريّة خطايا البشَر وَتُثَبَّت على الخشبة وتُقتَل، لِتُقْتَل معها الخطيئة وننهض في البِرِّ. «لأنّ بما أنّ الموت كان بإنسان، فبإنسان أيضًا قيامة الأموات» (١كور١٥:٢١)، بإنسان، وهو المخلِّص الذي قَبِلَ الموت طَوْعًا. تذكر هذه الكلمات: «لي سُلطان أن أبذل حياتي، ولي سلطان أن أسترجعها أيضًا» (يو١٠:١٨).